كتاب

الانوار القدسية في بيان آداب العبودية

تأليف القطب الرباني شيخنا وأستاذنا

سيدي عبد الوهاب الشعراني

نفعنا الله تعالى به وبعلومه

في الدنيا والآخرة

آمين

(الطبعة الاولى)

(بالمطبعة العامرة الشرفية بشارع الخرنفش بمصر)

(المحروسة المحمية سنة ١٣١٧ هجرية)

(على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين حمدا يوافي نعمه ويكافئ مزيده يا ربنا لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك
سبحانك لا نحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك والصلاة والتسليم على أشرف المرسلين محمد خاتم النبيين
وعلى آله وصحبه أجمعين (وبعد) فلما كان يوم الاثنين المبارك سابع عشر رجب الفرد سنة احدى وثلاثين
وتسعمائة تحرك عندي خاطر قوي بطلب مقامات الاولياء رضي الله عنهم وازدريت جميع ما أنا فيه وتكدر
لذلك عيشي بأن في ذلك عدم الرضا بما قسمه الله تعالى حتى خفت سوء الخاتمة والمقت والغضب فخرجت على
وجهي هيمانا أيا بالفسطاط مقابل الروضة بمصر فأخذتني حالة بين النائم واليقظان فسمعت هاتفا أسمع صوته
ولا أرى شخصه يقول على لسان الحق سبحانه وتعالى عبدي لو أطلعتك على جميع الكائنات وعدد الرمال
واسم كل ذرة منه والنباتات وأسمائها وأعمارها والحيوانات وأعمارها وأسمائها الى أصولها من الوحش
والطيور والحشرات وسائر الدواب وكشفت لك عن ملكوت السموات والارض والجنة والنار وما فيهن ظاهرا
وباطنا وأنزلت المطر بدعائك وأحييت الميت على يدك وأجريت على يدك جميع ما أكرمت به عبادي المؤمنين
لست من عبوديتي في شيء انتهى ما ألقاه الهاتف فلما سمعت هذا الكلام وبقي عندي شهوة نفس لمقام من
مقامات الاولياء لا في الدنيا ولا في الآخرة فحمدت الله تعالى شكرا على ما أولى * وقد أحببت أن أتكلم على
المراد بالهاتف وما ألقاه وأبسط الكلام في ذلك مرصعا بكلام بعض العارفين من مشايخي رضي الله عنهم خوفا
أن يتوهم أحد من القاصرين في الدين لا معرفة عنده بمراتب الوحي ان ذلك وحي كوحي الانبياء عليهم الصلاة
والسلام فأقول * اعلم أن الهاتف المذكور لا يخلو اما أن يكون ملكا أو وليا أو من صالحي الجن أو هو الخضر عليه
السلام أو غير ذلك لأن الخضر عليه السلام حي باق لم يمت وقد اجتمع بمن اجتمع به وبالمهدي وأخذ عنه طريق
القوم وهو شيخنا العارف بالله تعالى الشيخ حسن العراقي صاحب الضريح فوق الكوم بقرب بركة الرطلي بمصر
وذكر لي رضي الله عنه أنه اجتمع بالمهدي امام آخر الزمان عليه السلام بدمشق وأقام عنده سبعة أيام وعلمه ورده
كل ليلة خمسمائة ركعة وصيام الدهر وذكر لي وقائع كثيرة وأنه سأل الامام عن سنة مولده فقال لي ولدت أواخر المائتين

من

من الحضرة فسألت عن ذلك بعض الكمل من مشايخنا فأجاب بالتاريخ المذكور سواء بسواء فاعلم ذلك
﴿ وأما القاء الهاتف ﴾ فنقول اعلم ان الوحي على ضروب منها ما يكون متلقيا بالخيال كالمبشرات في عالم الخيال
وهو الوحي في النوم فالملقي خيال والنازل كذلك والوحي كذلك ومنه ما يكون خيالا في حس على ذي حس ومنه
ما يكون معنى يجده الموحى اليه في نفسه من غير تعلق حس ولا خيال ممن نزل به وهو المسمى بالالهام وقد يكون
كتابا ويقع ذلك كثيرا للاولياء كتقبيب التفاح ونحوه وكان شيخنا رضي الله عنه يجد بعد القيام من النوم ورقة
مكتوبا فيها ما ألقاه اليه به اذا تقرر ذلك فعلوم الغيب تنزل بها الارواح على قلوب العباد فمن عرفهم تلقاهم
بالادب ومن لم يعرفهم أخذ علم الغيب ولا يدري عن من كان كالكهنة وأهل الزجر لهذا كان أهل الله تعالى
يرون تنزل الارواح على قلوبهم ولا يرون الملك النازل الا أن يكون المرسل اليه نبيا أو رسولا فعلم أن أهل الله
يشهدون الملائكة ولكن لا يشهدونها ملقية عليهم أو يشهدون الالقاء ويعلمون أنها من الملك من غير شهود فلا
يجمع بين رؤية الملك والالقاء منه اليه الا نبي أو رسول وهذا يفرق بين النبي صاحب الشرع المنزل وبين الولي
التابع واعلم أن ما ألقي على الانبياء عليهم الصلاة والسلام يعبر عنه بالوحي وبالشرع فان كان منسوبا الى الله
تعالى بحكم الصفة سمي قرآنا وفرقانا وتوراة وانجيلا وزبورا وصحفا وان كان منسوبا الى الله تعالى بحكم الفعل
لا بحكم الصفة يسمى حديثا وخبرا وسنة وقد أغلق الله باب التنزيل بالاحكام المشروعة وما أغلق باب التنزيل
بالعلم بها على قلوب أوليائه فالتنزيل الروحاني بالعلم بها باق لهم ليكونوا على بصيرة من دعائهم الى الله تعالى بها
كما كان من اتبعوه صلى الله عليه وسلم ولذلك قال أنا ومن اتبعني فعلم أن الولي لا يدعو الى الله ابتداء بخلاف النبي
فالولي يدعو الى الله بحكاية دعوة الرسول ولسانه لا بلسان يحدثه كما يحدث الرسول ولهذا لو قال الولي بما يخالف
حكم الرسول لم يسمع في ذلك ولم يكن على بصيرة لان من كان على بصيرة لا تتطرق اليه تهمة لانه ليس عن فكر
ولا نظر وعلمهم لا يزال يتجدد نظرا اذ هو حق اليقين اذا علمت ما ذكرناه فليس في القاء الهاتف المذكور ما يتوهم
منه رائحة دعوى النبوة بل ولا دعوى مرتبة العارفين أصحاب القلوب لان الفقير صاحب هذا الالقاء لم يشهد
صورة الملقي اليه ذلك ولا كان في اليقظة ولا هو في الاحكام الشرعية حتى يعارضها فهو بعيد عن مرتبة العارفين
أصحاب القلوب رضي الله عنهم أجمعين وقد سألني بعض الفقراء من الاخوان نفع الله بهم أن أملي على هذا الالقاء
المذكور جملة مما فهمته منه من آداب العبودية وجملة من آداب طلبة العلم الشافعي وجملة من آداب الفقراء
عموما وخصوصا وما يدخل على كل طائفة من الدسائس في مقاصدهم لان الشيطان لهم بالمرصاد ولا ينجو منه
الا القليل من عباد الله فأجبت الى ذلك وختمت الابواب بجملة من مقامات السالكين التي سقطت بمقام
العبودية لله تعالى وأنها أخص مراتب الانبياء والصديقين ﴿ وسميتها رسالة الانوار القدسية في بيان آداب
العبودية ﴾ وذلك على لسان هاتف والخطيب على المنبر يوم الجمعة وأرجو من الله الكريم أن كل من يطرق
هذه الرسالة من الفقراء أحاط علما بالادب مع الله تعالى لما فيها من خرق نظام المشيخة والناموس وما فيهما من
الرياء والكبر الذي يترقى عند التلامذة في الغالب فغالب الشيخ تم على حالة التلامذة ولم يصر شيخا وكان كآحاد
الناس الذين لا يشار اليهم بالاصابع لان خير الناس من كان مستورا في الدنيا الا أن يكون مأمورا بعدم الستر
كالانبياء وورثتهم من كمل الاولياء على أن المتميزين الآن انما تميزهم بالدعوى فقط فان من أرباب الحرف
من هو على أوراد وأذكار وصدقات لا يخلو منها ولا يوما واحدا ولا يقال له قط خاطركم علينا ولا شيء لله المدد ولا
يعرفون الرياء ما هو وكذلك الفلاحون طول عامهم في مصالح الخلق في أعمال شاقة لا يقدر فقير يضبط على
دينه معهم أسبوعا كاملا مع ازدراء غالب الخلق لهم وغالب فقراء هذا الزمان المدعين لا يسلم منهم من الرياء
والتصنع الا القليل لصفهم ولا يتصدق أحدهم بالفلس الواحد بل يلقون كلما يجدونه ويرون بذلك الفخر
لاسيما ان كان أرباب الدولة يذكرونه بالثناء الحسن ولذلك قال بعض مشايخنا رحمه الله شيخ الامير طبل
كبير وشيخ الفقير عمد حقير اذا علمت ذلك فترك التميز والاعجاب في المواسم والهمة أولى بل هو الصدق المحض
وهذه طريقة الصحابة والتابعين وهي طريقة سهلة نافعة لعامة المسلمين لأن كل الخلق لا يخرجون عنها الا شاذ و

دعوى لا حقيقة لها كمن ادعى الألوهية من العبيد واعلم أن سبب تعدّي العبد عن حدوده كونه مخلوقا على الصورة وهو تعالى له العزة والكبرياء والعظمة فسرت هذه الاحكام في العبد بحقيقة الواقع والكامل من العبيد هو الذي لا يصرفه خلقه على الصورة عن الفقر والذلة والعبودية لما يعرف من نفسه من العجز والضعف والافتقار الى أدنى الاشياء والتألم من قرصة برغوث هذا يدركه كل انسان من نفسه ذوقا فليحذر العبد من رؤية نفسه على أحد من رعيته أو عبده الذي في رقه لانه ربما يكون عند الله أحسن حالا منه كما ورد في الحديث وليحذر من قوله له تحمل رأسك برأسي أو مثلك مثلي أو غير ذلك فان هذا كله دليل على الجهل والغباوة والكبر والله لا يحب المتكبرين ولو لم يكن في ذلك الا أن الله تعالى يكرهه لكان كفاية في الزجر لان العبيد كلهم عبيده ورقيقهم ملك له تعالى لا فضل لأحد الا بما فضله سيده به وهذا الا يعلم الا بوحي فالزم الذل وترك الزجر لعبدك وخدمك ان كنت عبدا لله واعلم أن هذه الطريقة لا يحتاج سالكها الى مراجعة شيخ في الغالب لانه لا يقف مع كشف ولا منام ولا خاطر وغيرها مما يحتاج اليه فقهاء الصوفية وقد بالغت في ايضاحها وأحلت ما لا يدرك من الاخلاق الا ذوقا على الذوق اذ العبارة لا تضبطه كمن يصف طعم العسل لمن لم يره ولم يذقه فوصفه يقصر عن ايصال الطعم اليه على أني حذفت غالب ما لا يدرك الا بالذوق خوفا من ردّه اذا رآه من لم يذق من قبل الكلام على التقليد لأن كل من زين له اعتقاد يرد كلما أتى بخلاف معتقده وان كان حقا ولأن طريق القوم ذوق لا يقبل فمن لم يذق وأنكر فهو معذور وكل عالم اذا ذاق علما فوق علمه لا يمكنه التقيد معه ويترك الادنى درجة وليس من نقل كمن شهد واعلم ان جميع ما اضعه بارادة الله تعالى في هذه الرسالة ابن وقته ليس بفكر ولا نظر وانما هو أمر يسأل عنه بعض الاخوان وأزنه بميزان القاصر وكل وقت له كلام جديد غير الآخر لانه ليس بنقل حتى يرجع اليه فرحم الله امرأ رأى فيها شيئا يخالف ظاهر الكتاب والسنة وأصلحه لكن بشرط أن يكون على يقين ومعرفة ليس فيه شك (ورتبتها على ثلاثة أبواب وخاتمة * الباب الاول) في آداب العبودية على الاطلاق * الباب الثاني في آداب طلب العلم النافع * الباب الثالث في آداب الفقراء والمساكين * والخاتمة في بيان جملة من المقامات الساقطة عند العبد الخالص وهي عمدة الرسالة وسبب وضعها وها أنا شارع في ذلك مستمدا مما يفتح الله تعالى به على مما لم أره مسطرا الان شرط من يضع كتابا أن لا يعلم أن أحدا سبقه الى ما ذكر فيه والا فتأليفه له حظ نفس فلا فائدة فيه وقد طرزتها بكلام بعض العارفين من مشايخي وغيرهم تبركا بذكرهم رضي الله عنهم أجمعين وأقول سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم وحسبنا الله ونعم الوكيل والحمد لله رب العالمين

(الباب الاول في بيان آداب العبودية على الاطلاق)

والآيات والاخبار في ذلك مشهورة * اذا تقرر ذلك فالمراد من انزال الكتب وارسال الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أن يعرفوا العبيد وصفهم وما خلقوا له ويلزموه ويعرفوا ما لله عز وجل دونهم فلا ينازعوه فيه وجميع الكتب الالهية التي أنزلت ومواثيق الله على عباده وتحقيقا لما له عليهم وما لهم عليه فانه أوجب على نفسه لعباده حقوقا فضلا منه ونعمة منه فدخل معهم في العهدة وقال أوفوا بعهدي أوف بعهدكم فادخلنا تحت العهد اعلاما بانحطاطنا عن عبوديتنا له اذ لو كنا عبيدا محضا له لم يكتب علينا عهدة فلما أبقنا بخروجنا عن حقيقتنا وادّعينا الملك والتصرف والاخذ والعطاء كتب بيننا وبينه عقودا وأدخل علينا العهود والميثاق وادخل نفسه معنا في ذلك ألا ترى العبد المكاتب ان لا يكاتب الا أن ينزل منزلة الاحرار فلولا توهم رائحة الحرية ما صحت مكاتبة العبيد وهم عبيد فان العبد لا يكتب عليه شئ ولا يجب له حق فانه ما يتصرف الا عن اذن سيده فاذا كان العبد في حقيقة عبوديته لم يؤخذ عليه عهد ولا ميثاق ألا ترى العبد الآبق يجعل عليه القيد وهو الوثاق فهو بمنزلة الوثائق التي تتضمن العهود والعقود التي لا تصح بين العبد والسيد اذا علمت ذلك فمن أصعب آية تمر على العارفين بالله تعالى أوفوا بالعقود أو العهود فانها آية أخرجت العبيد عن عبوديتهم لله تعالى * ولنشرع في ذكر الآداب العامة فنقول من شأن كل العبيد أن لا يقفوا مع شئ من المواهب التي يعطيهم السيد بها وينسون حقوقه عليهم من وجوب التوجه اليه دائما لأن جميع ما يطلبه العبد في الدنيا والآخرة لا يبرز الا من خزائن سيده وان من شئ الا عندنا خزائنه

فأين يذهبون ومن علم هذا ذوقاً لم يلتفت لسواه ومن رضي به لم يسأل عما زوى عنه من حظوظ الدنيا والآخرة إذا كان الحق عوضاً له عن كل شيء إذا علمت ذلك فالعبد إنما وظيفته امتثال الأمر واجتناب النهي إجلالاً لله تعالى لا طمعاً في شيء ولا خوفاً من شيء هذا هو اللائق بالأدب لأن العبد إنما يعمل لنفسه فكيف يطلب أجراً على ما عمله لها والله خلقكم وما تعملون فلا يحسن منه طلب الأجر لوجه لا يشهد العمل فيه لله ولا لنفسه ولأنه لا يسلم له عبادة واحدة بل خلل ونقص وسوء أدب فكيف يطلب ثواباً وهو إنما يستحق بفعلها على الوجه المذكور العقاب والمقت ومن ظهر له من نفسه الإخلاص ولم يطلع على نقص في عبادته فهو على خطر في قبولها فقد يردها فلا يحسن منه طلب إلا إذا علم أن الحق تعالى قبلها بقبولها ومن أين له ذلك وبتقدير وقوعه فهو سؤال قبيح لما فيه من الإيهام وعدم الثقة بما وعد   واعلم أن العوام أمرهم محمود في ذلك إن شاء الله تعالى فيسألونه ويعطيهم ويرونه فضلاً ونعمة ويقولون نحن غارقون في نعمة الله وباطنهم سليم لله تعالى وإنما يقام هذا الميزان على أصحاب الدعاوى والتكبر على الخلق بعبادة الله تعالى من الذين لم يعلموا حقيقة عبوديتهم وطغوا فيما ليس من وصفهم وعلم أن العبد لا يستحق على سيده أجرة بخدمته له وإن طلبها أساء الأدب معه فالعبد إنما يخدم سيده امتثالاً لأمره وهو سبحانه يعطيه ما وعده لأنه لا يخلف الميعاد مع أن العمل يطلب الأجرة بذاته ثم يعود ذلك على العامل ولذلك قالت الرسل عليهم الصلاة والسلام عن أمر الله تعالى لأممهم تعريفاً لهم بما الأمر عليه قل ما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على الله فذكر واستحقاق الأجر على من يستعملهم واختص محمد صلى الله عليه وسلم بفضيلة لم ينلها أحد غيره عاد فضلها على أمته مع إبقاء أجره على الله كالرسل قبله فأمره الحق أن يأخذ أجره الذي له على رسالته من أمته وهو أن لا يؤذوا قرابته فقال تعالى قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى فتعين على أمته أداء ما أوجب الله عليهم من حب قرابته وأهل بيته فعلم أن الأجور مترددة بين الحق والخلق فللحق أجر على خلقه لأعمال عملها لهم وللخلق أجر على الله فضلاً منه ومنة لأعمال عملوها له لأنهم طريق لظهور هذه الأجور ولولا وجود الخلق في ذلك لم يظهر للأجر عين والكلام في هذا واسع * واعلم أن العبد يستفيد بتركه الطلب للأجر الأدب مع سيده والمحبة والتقرب لأن السيد إذا رأى عبده مقبلاً على عبادته محبة فيه وتعظيماً له خلع عليه خلع الرضا وأنعم عليه بأمور لم تكن في خياله وهذا بخلاف من علم منه أنه يعبده لشيء فإنه مطلوق العنان وغاية السيد أن يعطيه ما عبده لأجله مع ما فيه من النكد وسوء الأدب وخوف المقت وهذا مشاهد فيمن يخدم السلطان محبة ولا يسأله شيئاً مطلقاً فيعطيه الإقطاعات وغيرها بلا سؤال بخلاف من يسأل على خدمته منه شيئاً أو يرفع له قصة أو يسأله التقريب فإنه يثقل عليه أن يكون من أهل خدمته وعلم منه حيث ظهر له منه أنه لا يخدمه إلا لشيء يعطيه له فافهم ذلك فعلم أن العبد ينبغي له أن يثق بضمان الله تعالى ولا يكون عنده اتهام لله تعالى في شيء لأنه عبده والعبد ليس له عنده شيء يطلبه منه ويتهمه فيه فمتى لم يكن له وثوق بضمان الله ووعده فهو ناقص الإيمان وعلامة الوثوق أن يتساوى عنده الغائب والحاضر بلا فرق فاحذر أن يكون في باطنك اتهام لأنه عند الله كالتصريح باللسان وأنت لو قلت صريحاً أنا لا أثق ولا أصدق بما وعد الله تعالى حكمت الشريعة بقتلك فمن هو عند الله بهذه المثابة كيف يعد نفسه مسلماً لأن الإسلام هو التصديق لله في جميع ما أخبر فافهم ذلك وذلك أن العبادة بلا علة من طلب ثواب وغيره من أحوال المريدين يتلبسون بها ذوقاً أول دخولهم في الطريق ولذلك قال بعض العارفين نهاية الفقيه مبتدأ الفقير لأن أعلى أحوال الفقيه أن يخلص في علمه وعمله لله تعالى ويشهد إخلاصه ولا يطلب عليه ثواباً ولا يذوق غير هذا وهذا أول دخول المريد في الطريق ثم يترقى إلى مقامات وأحوال بحسب حظه ونصيبه إلى أن يغيب عن ملاحظة نفسه هذا كله بما كشف له من جلال سيده وعظمته لأن من ذاق شيئاً من ذلك شغله وأذهل العبد لما تصيبه مصيبة يصير صاحبه جالساً وهو يدخل ويخرج فإذا قال له في زمان جالس يقول له والله ما ألهم ما رأيتك مع سلامة حاسة بصره لكن القلب مشغول والجوارح تبع له فافهم ويقول الفقيه في العبادة بلا علة وطلب ثواب تلك مرتبة الخواص وهو معذور لأنه ليس له قدم في الترقي بخلاف الفقير فإنه لم يزل في الترقي وكلما ترقى إلى مقام تركه وكل مترق في حال يرى أنه لا يذوق أن فوق ما ترقى إليه مقام

ولذلك اتخذت المشايخ الذين سلكوا واقتدوا لانهم كلما رأوا الفقير ترقى الى مقام أعلموه بأن وراءك كذا وكذا
أنت بعد فاذا ترقى رأى ما ذكروه له قبل ان كان ذاقه وثق بهم وقوى يقينه لانها طريق غيب لا يسلك الا
بدليل وقد قال الجنيد رضي الله عنه مكثت نحو عشر سنين أتوقف في قولهم ببلوغ الذاكر الى حد لو ضرب وجهه
بالسيف لم يحس به حتى وجدنا الامر كما قالوا ويصير من ذاق يقول لمن لم يذق انا ذقت فلا يقبل منه يقينا انما هو
تقليد ولما دخلت في طريق المحبة للقوم فذقت هذا الحال فكنت لا أعقل أن أحدا يعبد الله لطلب ثواب ولا
لخوف عقاب قط وأقول أي فائدة لما جاءت به السنة من الاحاديث في الترغيب في أنواع العبادات والترهيب في
ارتكاب المحرمات فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في عالم غير هذا وقال لي لو لم نبين للخلق مراتب العبادات وما
فيها من الثواب ومراتب المحرمات وما فيها من العقاب لقامت الحجة علينا في الآخرة وقيل لنا هلا بينتم
مراتب الاحكام وما فيها من الثواب والعقاب لكنا بادرنا اليها في دار الدنيا فقد بينا فزال عني ما كنت أجده
وعلمت ما علمت فصلى الله وسلم عليه ما أحسنه من معلم وبالله التوفيق ومن شأنهم الرضا عن الله تعالى في كل حالة
يكونون عليها فلا يكون عندهم سخط لشئ مما يجري به عليهم ولا ازدراء لما أعطاه كائنا ما كان فان الحق سبحانه
وتعالى أعلم بمصالحهم منهم فلا يفعل بهم الا خيرا وعسى أن تكرهوا شيأ وهو خير لكم الآية فالحكمة الالهية كاملة
لا تقتضي أن يعطي العبد غير ما أعطي من أعلى وأدنى ولو أعطي غير ذلك فسد حاله كما يشير اليه الحديث
القدسي ان من عبادي من لا يصلح له الا الفقر ولو أغنيته لفسد حاله وان من عبادي من لا يصلح له الا الغنى ولو
أفقرته لفسد حاله اذا علمت ذلك وعلمت أن كل من أعطي شيأ فهو الأكمل في حقه والاصلح حكمة بالغة من حكيم
عليم فالاكمل في حق الانبياء النبوة وفي حق الولي الولاية وفي حق المؤمن الايمان وفي حق العالم العلم وفي حق
المحترف الحرفة وفي حق غير المحترف عدمها وهكذا * وهنا أسرار يعلمها أهل الله تعالى فطلب العبد الانتقال من
الحالة التي هو فيها اختيار غير ما اختار الله له وهو مؤذن بانه يدعي انه أعلم بمصالحه من الله وكفى به جهلا وكفرا وكل
ما ذكرناه مأخوذ من قوله تعالى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى فافهم وسيأتي زيادة على ذلك في مقام الرجاء
والرضا ومن شأنهم أن لا يشهدوا لهم ملكا لشئ لا باطنا ولا ظاهرا والمدد من شهود ذلك ذوقا لا علما لأن الذوق
لا يتوقف على دليل فهو أقوى وصاحب العلم لولا الدليل ما علم ولا ينسب الملك الى من نسب اليه دليله فالقاصر
من الفقراء يغلب عليه شهود الملك لله تعالى مع قطع النظر عن ملك الخلق أصلا ورأسا ولا يرى تحريم شئ من
غصب وربا ونحوهما ويقول كل من أخذ من ملك سيده شيأ فهو له ولا يصير عنده دليل يراجعه ولذلك يقع النزاع
بينه وبين الفقهاء الغلبة كل واحد على صاحبه وصاحب العين الواحدة أعور وقد ذقت هذا الحال ولكن
حفظني الله من تناول ما حرمته الشريعة حتى خلصني الله منه فالكامل من الفقراء من يشهد الملك لله رب
العالمين مع شهود نسبة الملك للعبد لا يحجبه هذا عن هذا لانه يشهد ان ملك العبد بتمليك الله تعالى له فضلا منه
ونعمة فليس هو ملك حقيق لأن ذلك انما يكون للواجد وانما هو نسبة شرعية تحرم غصبه وسرقته بغير طريق
شرعي فلم يخرج عن ملك الله تعالى بنسبته الى عبده قال سيدي أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه احذر من دعوى
الملك لشئ من باطنك وظاهرك لأن كل عبد ادعى ملكا حقيقة فليس بمؤمن لان الله تعالى قال ان الله اشترى
من المؤمنين أنفسهم وأموالهم فالمؤمن من باع نفسه لله تعالى بمعنى انه لم يبق عنده منازعة لله فيما هو له تعالى
فاحفظ نفسك من دعوى تسلب عنك الايمان والزم الادب فانه باب لكل خير ولا تجادل فتهلك * واعلم أن
السبب الموقع للانسان في دعوى الملك كونه خليفة وكون الحق تعالى قال في حقه وما ملكت أيمانكم
ونحوها من الآيات ولم يقل ذلك لسوى الانسان وما ثم موجود يقر له بالعبودية فيقال عبد فلان الا هو وكذلك
شرع له العتق وجعل له ولاء العبد المعتق اذا مات من غير وارث كما ان الارث لله من عباده قال تعالى انا نحن
نرث الارض ومن عليها فاصحاب النظر القاصر وقعوا مع ظاهر ما نسب اليهم وأهل الله علموا الوجوه من ذلك
وكادوا أن يذوبوا من الحياء والخجل لعلمهم باسرار خطاب الحق لهم وما فيه من التوبيخ والتقريع لانهم أهل
القرب والمجالسة فهم يفهمون انه لولا علمه بالمنازعة له ودعوى الملك لما قال ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم

وأموالهم

وأموالهم وكذلك قوله ان أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون ونحو ذلك من الاخبار ولذلك قال بعض العارفين
اللهم لا تجعلني منهم ومن شأنهم أن يروا جميع النعم التي بايديهم بوجهين وجه نعمة ووجه بلاء ومحنة فربما أتت
النعم في المحن فالعبد يعطي الوجهين حقهما فيرى النعم من وجه النعمة ويعترف بعجزه عن القيام بشكرها ويراها
من وجه البلاء والمحنة فيخاف من المكر والاستدراج قال تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون فاذا نظرها
بهذا الوجه أمن ان شاء الله من التكبر بها على من لم يعطها لأن النفس اذا رأت ما فيه من النعم الظاهرة والباطنة
من الاحوال والعلوم والمواهب والمعارف والمكشوفات ورأت تعظيم الخلق لها بسبب ذلك طغت وتكبرت قال
تعالى كلا ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى واعلم أن البلايا أكثر من النعم في الدنيا فانه ما من نعمة ينعم بها الله على
عبده تكون خالصة من البلاء فان الله تعالى يطالبه بالقيام بحقها من الشكر عليها واضافتها الى من يستحقها
بالايجاد وأن يصرفها في الموطن الذي أمر الحق تعالى أن يصرفها فيه فمن كان شهوده في النعم كل الشهود متى
يتفرغ من الالتذاذ بها حتى يغيب عن شهود النعم بالمنعم وكذلك في الرزايا هي في نفسها مصائب وبلايا ويتضمنها
من التكليف ما تضمنه النعم من طلب الصبر عليها ورجوعه الى الحق تعالى في رفعها وتلقيها بالرضا والصبر
الذي هو حبس النفس عن الشكوى بالله الى غير الله وهذا غاية الجهل بالله لأنك تشكو القوي الى الضعيف
لما تجد في حال الشكوى من الراحة مع كونك تشتكي الى غير مشتك لأنه لا يقدر على دفع ما نزل بك الا من أنزله
فقد علمت أن الدار دار بلاء لا يخلص فيها النعيم من البلاء وقتا واحدا وأقله طلب الشكر من المنعم بها عليه عليها
وأي تكليف أشق منه على النفس وكذلك قول الله تعالى ودليل من عبادي الشكور ربحهلهم بالنعم انها نعم يجب
الشكر عليها تؤيد ما قلناه قوله تعالى ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور في حق راكب البحر اذا اشتد الريح
عليه وبرد فيما فيها من النعمة يطلب منه الشكر وبما فيها من الشدة والخوف يطلب منه الصبر فافهم وتدبر كلام
الله تعالى تجده فيه كلما تقرب اليه تعالى من جميع العلوم وعامله بالادب يخلع عليك العلوم والا فكيف تطلب
أن تدخل الى حضرته وأنت لم تتأدب معه فالزم الادب يعطك فوق ما تأمل والسلام * ومن شأن العبد أن
يرى جميع ما يأتي اليه على سبيل العبودية والذل والخضوع من الطاعات كله نقص وقلة أدب قال الله تعالى وما
قدروا الله حق قدره ويرى جميع طاعاته ناقصة يستحق عليها العقوبة لولا عفو الله تعالى ولو بلغ أعلى درجات كل
الاولياء وذلك بالنظر لجلال الله تعالى ولذلك قال صلى الله عليه وسلم سبحانك لا نحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت
على نفسك مع أنه قام حتى تورمت أقدامه وكان لا يضيع له وقت في غير عبادة فصلى الله وسلم على معلم الخير
وسيد العبيد وقد قال الامام الغزالي رضي الله عنه ان العبد ليسجد السجدة وفيها من الخشوع والخضوع ما يظن
انه بلغ به الى أعلى عليين ولو قسمت ذنوبه في تلك السجدة على جميع أهل الارض لأهلكتهم أجمعين فانظر
أحوال العارفين ورؤيتهم التقصير في أعلى عباداتهم واسلك سبيلهم والله يتولى هداك وهو يتولى الصالحين
*ومن شأنه أن يأخذ بالاحوط لدينه ويخرج من خلاف الائمة رضي الله عنهم ما استطاع فلا يتهاون في فعل
السنن الواجبة في غير مذهبه ولا يرتكب المكروهات المحرمة عند غيره فيعاملها معاملة الواجب والحرام فيجتنب
المكروهات كأنها حرام ويفعل السنن كأنها واجبة فيمسح رأسه جميعا ان كان شافعيا ويتطهر من نجاسة الكلب ان
كان مالكيا بنية النجاسة لا التعبد وبهما فيما بالامر لحديث فاغسلوه سبعا ويتوضأ من مس الفرج ان كان حنفيا
وغير ذلك مما لا يحصى لان من كانت عبادته صحيحة على جميع المذاهب أولى من كونها باطلة عند بعض المذاهب
هذا مذهب العارفين من أهل الله تعالى فعلم أن مرتبة المكروهات والمندوبات عندهم رضي الله عنهم كرتبة الحرام
والواجب في الاعتناء والتعظيم فقط لا في المشروعية فافهم فان من بلغ هذا المبلغ لا يجهل عن الله تعالى مراتب
أوامره ونواهيه لانهم أهل مجالسته فلهذا يرون أنه ليس في مجالسة الله تعالى شيء جائز ولا في امتثال أمره شيء غير
واجب فهم كالغافلين عما اصطلح عليه العلماء من تسمية بعض الاوامر سنة وبعضها واجبا لقوة التعظيم عندهم
هكذا شأنهم في معاملتهم مع ربهم فلذلك رفع قدرهم في الدنيا والآخرة ولا يتوهم من هذا انهم يصيرون قائلين
بمذهب الظاهرية لأن ذلك منزع وهذا منزع وقد ثبت الفرق بين رتبتي الفرض والتطوع في حديث هل علي

غيرها قال لا الا أن تطوع وحديث لا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى أحبه الحديث وغيرهما اذا علمت ذلك فينبغي لمن سلك طريق العارفين أن يتوب من ترك السنة كما يتوب من ترك الواجب ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم ان الله فرض فرائض وفرضت فرائض الحديث وقوله سبحانه وتعالى في حقه وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى فافهم وهذا هو اللائق بالادب مع الله تعالى ورسوله وكلما ازداد العبد معرفة بالله تعالى عظم أمره ونهيه وكلما بعد تهاون وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أنا أعرفكم بالله وأخوفكم منه والعبد لا يجازى بتعظيمه لأمر الله تعالى الا المحبة والقرب ولا يجازى بضد ذلك الا المقت والبعد وليس فهم الانبياء عن الله تعالى كفهم الأولياء ولا فهم الأولياء عنه تعالى كفهم آحاد الناس لان تعظيم كل أحد على قدر معرفته به ولا ينبغي لاحد ان يتعرض على من جنح الى أمر فيه تعظيم الله تعالى فان في الاعتراض عليه قلة أدب مع الله تعالى وكيف يرجع الى كلام المعترض من قلبه مملوء بعظمة الله تعالى وقد أخذ بمجامع قلبه وان وافق المعترض في الظاهر لا يمكنه موافقته في الباطن فافهم واعلم أنك كما تدين تدان وكما يكون أمر الحق عندك كذلك تكون عنده وروى الحاكم مرفوعا من كان لا يعلم منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله عنده فان الله ينزل العبد منه حيث أنزله من نفسه وبالجملة فمن نظر الى ما الخلق فيه من المصائب والفتن والمحن الظاهرة والباطنة سهل عليه المناقشة فيما لا يهمه ووكل ذلك الى أهله فلكل رجال مقام يذوقونه فيما بينهم ومن فهم هذا توقف عن الانكار على غيره لأنه سالك من طريق غير طريقه ولا يعترض الفقيه على النحوي ولا المقرئ على الاصولي ولا الفقيه على الصوفي وبالعكس لان لكل فرقة اصطلاحا فيما بينهم وكلامنا في الاعتراض بالفهم من غير مستند شرعي والا فلو رأينا الصوفي يتربع في الهواء لا نعبأ به الا ان امتثل أمر الله تعالى واجتنب نهيه في المحرمات الواردة في السنة محافظا بتركها كل الخلق المكلفين لا يخرج عن ذلك أحد منهم ومن ادعى أن بينه وبين الله تعالى حالة أسقطت عنه التكاليف الشرعية من غير طهور أمارة تصدقه على دعواه فهو كاذب كمن يشطح من شهود في حضرة خيالية على الله وعلى أهل الله ولا يرفع بالاحكام الشرعية رأسا ولا يقف عند حدود الله تعالى مع وجود عقل التكليف عنده فهذا مطرود عن باب الحق مبعد عن مقعد الصدق وحرام على الفقيه وغيره أن يسلم لمثل هذا وحرام على هذا أن يتكدر من نصحه لان نصحه بما يعلم وبما يلمع اليه عقله وحرام على الفقيه أن يتكدر من نصح الولي لانه أعلى منه فهما في أحكام الله تعالى وقد نصحه فيما وصل اليه علمه ولا يتوهم أن علم الأولياء وغوصهم في فهم الاحكام يتوقف على الآلات عند غيرهم كالنحو واللغة والمعاني ونحو ذلك فان الحق سبحانه وتعالى لا تقييد عليه فيعطي من شاء ما شاء كيف شاء فافهم * واعلم أن جميع اعتراض الخلق على بعضهم سبب لترقيهم وتنظفهم من رذائل الاخلاق وهو رحمة من الله تعالى ونعمة على عباده لأنهم لم يزالوا بخير ما تناصحوا وكلهم قاصد بنصحه الخير لأخيه لأنه يرى ما يدعو اليه أنفس وأفضل من غيره وبالحقيقة الفقهاء هم الصوفية لو عملوا بما يعلمون فان الأولياء انما تميزوا عنهم بالعمل فانتج لهم ذلك قوة العلم والفهم عن الله تعالى دونهم ففارقوهم به فلذلك وقع التنازع بينهم من المقصرين فشكلهم مع الأولياء كشكل الرصاص في دائر شبكة الصياد والأولياء قابضون حبل الشبكة فاذا جذبوا الحبل انجر معه الرصاص فالقاصرون من باطنهم ولا عكس وأما العلماء العارفون بالله تعالى فهم مستصغرون علمهم وفهمهم ويعلمون أن فوق فهمهم ومعرفتهم درجات ولولا ما ذكرناه من تمايز الرتب لكان كل من صلى وصام كأبي بكر رضي الله عنه مثلا في درجته لانه فعل كفعله ولكان العالم كله لا تفاضل فيه وقد قال الله تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات فالأولياء تميزوا عن غيرهم بعلوم لا يشاركهم فيها أحد وقد ذكر شيخنا رضي الله عنه في تفسير سورة الفاتحة مائتي ألف علم وسبعة وأربعين ألف علم وتسعمائة وتسعة وتسعين علما وقد ذكرت غالبها في كتابنا تنبيه الاغبياء على قطرة من بحر علوم الأولياء فراجعه اذا علمت هذا فالتسليم أسلم وكنت كثيرا ما أسمع شيخنا شيخ الاسلام زكريا الانصاري رضي الله عنه يقول الاعتقاد ان لم ينفع ما يضر والغيبة اذا لم يكن له المام بطريق القوم وملاحظهم واصطلاحهم ومؤاخذتهم فهو جاهل اهـ واعلم أن طريق القوم على وفق الكتاب والسنة فمن خالفهما خرج عن الصراط المستقيم كما قال سيد الطائفة أبو القاسم

الجنيد رضي الله عنه فلا تظن أنهم كانوا كحال غالب المنسوبين الى التصوف في هذا الزمان فتسيء الظن بهم انما كانوا رضي الله عنهم عالمين باسرار الشريعة صائمين قائمين زاهدين ورعين خائفين وجلين كما يعلم ذلك من تراجمهم وطبقاتهم وانما أنكر من أنكر على المتشبهين بالمتشبهين بالمتشبهين بالمتشبهين بالمتشبهين بالمتشبهين ست مرات منهم فكل قرن بالنسبة لمن قبله يصح عليه الانكار اذا ادعى أنه على طريقة من كان قبله لأن الناس لم يزالوا راجعين القهقرى واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم الحديث وانظر قول أبي بكر الشبلي رضي الله عنه قال لي أستاذي أنظر ياولدي ان خطر ببالك من الجمعة الى الجمعة غير الله تعالى فلا تعد تأتينا فانه لا يرجى منك أن تكون تلميذا فاذا كان هذا حال تلميذهم فكيف حال شيخهم فتأمل حال هذا التلميذ وحال مشايخ الآن تعرف الفرق وقد قال الحسن رضي الله عنه ما رأيت أعبد من السري رحمه الله أتت عليه ثمان وتسعون سنة ما رؤي مضطجعا الا في علة الموت وكان رضي الله عنه يقول لنا اجتهدوا قبل أن تصيروا عاجزين مثلي وكا اذ ذاك لا نقاوم اجتهاده ونحن شباب فرضي الله عنهم أجمعين وبالجملة من تربى على يد ولي عارف بالله حقق باب العبودية وآدابها وسيأتي في الخاتمة آخر الرسالة ان شاء الله تعالى جملة من آدابها والله يتولى هداك وهو يتولى الصالحين

﴿الباب الثاني في طلب العلم النافع ان شاء الله تعالى﴾

اعلم أن عمدة هذا الباب الاخلاص فيه لله تعالى ومن علامات الاخلاص أن لا يتكدر ممن نسبه الى الجهل وعدم الفهم ولا ممن قال فيه ان فلانا يتعلم العلم حجة عليه أو فلانا لا يعمل بعلمه وغير ذلك فيتساوى عنده نسبته للجهل ونسبته للعلم على حد سواء ومن علامة ذلك أيضا أن لا يجد في نفسه حلاوة لما تكبر حلقة درسه ويعظم في أعين الخلق بذلك فافهم ومن شأن طالب العلم أن ينظف باطنه من الخصال المهلكة كالكبر والحرص ودعوى العلم ومحبة الدنيا لأن أهل البر والمساعدة قد انقرضوا فلا أقل من رفع الهمة عن الطمع فيما بأيدي الخلق الخلاء فمن طمع الآن في دنيا تصيبه من أجل علمه فقد طمع في غير مطمع وباع دينه بلا شيء وبالتة كان بالدنيا فيكون في ذلك توهم فائدة في التوسعة على نفسه وعياله على أنه يضرب عن العمل بالعلم صفحا فأحسن الناس الآن من كان محترفا بما يعود عليه ثمرته في دنياه بعد أن يعلم ما يجب عليه تعلمه وما علمه من العلم كفاية وقد مر ابراهيم بن أدهم رضي الله عنه على حجر مكتوب عليه قلبني تعتبر قال فقلبته فاذا هو مكتوب على باطنه أنت بما تعلم لا تعمل فكيف تطلب علم ما لم تعلم اه واعلم أنه لا يمكن لطالب العلم العمل بالعلم وآدابه ويصير عليه الأنس والخير الا ان كان معتقدا في طائفة الفقراء مخالطا لهم فبذلك يثمر له العلم العمل لانهم ينبهونه على الدسائس المانعة للقلب عن قبول الخير لان العلم قوة للنفس وكلما كثر قويت وتكبرت وأبت عن الخير وقد قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام مما يدلك على صحة مذهب الفقراء كثرة كراماتهم وما رأينا أحدا من الفقهاء وقع على يديه كرامة الا ان سلك مناهجهم ومن لم يؤمن بكراماتهم حرم بركتهم وقد شاهدنا كل من أنكر على الفقراء من غير دخول في طريقهم يصير على وجهه كآبة وعلامة على الطرد والمقت لا تخفى على ذي بصيرة ولا ينفع الله تعالى بعلمه أحدا بخلاف أهل الاعتقاد فيهم وقد كان الشيخ يحيي النووي رضي الله عنه يخرج لظاهر دمشق لشيخه المراكشي رحمه الله يعرض عليه بعض مسائل يقف في فهمها عند نقلها فلو كان الفقراء لا يفهمون اسرار الشريعة أكثر من علماء الشريعة لما راجع النووي مع جلالته وقوة اعتقاده وصلاحه شيخه المذكور في الاحكام ولا يموت شيخ الا ويخلفه شخص آخر على قدمه لان المراتب لا ينقص أربابها والاعتقاد يجر الشخص اليهم والى معرفتهم والانتقاد يضرب بينهم وبينه بسور فعلم أن الفقراء ثابتون على قواعد الشريعة وانما أنكر ذلك القاصر من الفقهاء على القاصر من الفقراء وأما الكاملون في كل فريق فليس بينهم انكار لانهم في طريق أوحد فالفقيه القاصر لما يسمع القاصر من الفقراء يقول ليس للعبد فعل لغلبة شهود ذلك عليه يقول له الفقيه أنت جبري مبتدع أو يسمعه يقول ليس للعبد ملك ينكر عليه وهو مصيب في انكاره لان كلا منهما قاصر عن تحقيق الأمر في ذلك فافهم ذلك وقد قال الشافعي رضي الله عنه مكثت نحو عشر سنين وأنا بين خاطرين يدعوني

الى طريق الفقهاء وآخر يدعونى الى طريق الفقراء فاجتمعت بشخص من أولياء اليمن فكاشفنى وعرف ما فى قلبى وقال رضى الله عنه ياولدى مبتدأ الفقير نهاية الفقيه لان مبتدأ الفقير الفقر عن كل شئ والاخلاص لله تعالى فى جميع عباداته ولا يطلب منه عوضا على عباداته وهذا نهاية الفقيه ثم يترقى الفقير فى درجات القرب والمواهب ثم قال أحببت أنى أريك شيأ من ثمرة العلم الذى تريده وثمرة الفقر فارسل الى شخص من أكابر العلماء أن يأتى وأمر الجماعة أن لا يقوموا له ولم يفسحوا له فجاء فلم يجد الا موضع النعال ولم يلتفت أحد اليه فتكدر وكاد أن يكفرهم فقال الشيخ يافقيه أجد فى نفسى منك شيأ فقال وأنا أيضا فى نفسى منكم شيئان وقرن بين أصبعيه وولى ساخطا يسب الشيخ وجماعته فقال انظر ثمرة هذا العلم الذى تطلبه ثم أرسل الى فقير من آحاد الفقراء فجاء ووقف ولم يجد الا كالاول وسلم ولم يرد عليه أحد السلام سوى واحد فضحك ووقف صف النعال وأدارها لهم فقال له الشيخ أنا فى نفسى منك شئ قال ياسيدى أنا أقول أستغفر الله وكشف رأسه فقال انظر ثمرة طريق الفقراء قال فلزمت طريق الفقراء الى أن صرت كما ترونى فتأمل ياأخى هذه الحكاية واشتغل بما يثمر لك هذه الثمرة واحذر أن تكون ممن يكثر من جمع العلم بغير عمل اعتمادا على الاحاديث الواردة فى فضل العلم كقوله صلى الله عليه وسلم علماء أمتى كأنبياء بنى اسرائيل أو العلماء ورثة الانبياء فقد قال صلى الله عليه وسلم من ازداد علما ولم يزدد ٢ هدى لم يزدد من الله الا بعدا واعلم انه ٣ ما مات بالارث للانبياء عليهم السلام على الحقيقة الا المحدثون الذين رووا الأحاديث بالسند المتصل الى النبى صلى الله عليه وسلم كما قاله شيخنا فلهم حظ فى الرسالة لانهم نقلة الوحى وهم ورثة الانبياء فى التبليغ والفقهاء بلا معرفة دليلهم ليس لهم هذه الدرجة فلا يحشرون مع الرسل انما يحشرون فى عامة الناس فلا ينطلق اسم العلماء حقيقة الا على أهل الحديث وكذلك الزهاد والعباد وغيرهم من أهل الآخرة اذا لم يكونوا من أهل الحديث حكمهم حكم الفقهاء الذين ليسوا من أهل الحديث فيحشرون مع عموم الناس ويتميزون عنهم باعمالهم الصالحة لا غير كما أن الفقهاء يتميزون عن العامة فى الدنيا لا غير اذا علمت ذلك وقلة جدوى علمك بلا عمل ولا تيسر لك عمل لعدم تنظيف باطنك فاجتمع بمن يدلك على طريق الصواب قال تعالى واتوا البيوت من أبوابها وقد اجتمع الشيخ عبادة المالكى رضى الله عنه بسيدى الشيخ مدين رضى الله عنه فلم يعظمه ولم يلتفت اليه فقال ياسيدى ما منعك أن تعطينى حقى فى الاكرام فقال كيف وأنت مشرك فقال له وما وجه اشراكى قال حالك الذى أنت فيه الآن وطلبك التعظيم والخضوع لك وليس ذلك الا لله تعالى فمن ينازع الله فيما يستحقه ويطلب أن يكون له مثله كيف يكرم وانما يستحق الاهانة والاحتقار فسكت الشيخ عبادة ساعة ثم قال أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله تبت الى الله تعالى وهذا أوان دخولى فى الاسلام يعنى كماله وصدق رحمه الله لان الاسلام هو الانقياد وترك المنازعة لله فى أوصافه وما يستحقه وملازمة الأعمال الصالحة ورؤية نفسه انه أحقر خلق الله المؤمنين فافهم أرشدنا الله واياك الى الصراط المستقيم فانه بقدر استقامتك على الشريعة يكون استقامتك على الصراط سواء وبقدر اعوجاجك عنها يكون اعوجاجك عليه فاسأل الله الاستقامة فان بيده ملكوت كل شئ *ومن شأنه أن لا ينشر علمه ليصدقه الناس وانما ينشره ليصدقه الله وان كان لام العلة موجودة فعلة تكون بينه وبين الله تعالى من حيث أمره خير من علة تكون بينه وبين الناس من حيث جاه وعلة ترد العبد الى الله خير من علة تقطعه عن الله فمن أجل ذلك عطف العبد بالثواب والعقاب اذ لا يرجى ولا يخاف الا من قبل الله وكفى بالله صادقا ومصدقا وكفى بالله عالما ومعلما *ومن شأنه أن لا يجادل فى العلم الا بما هو وطى لان شرط المجادل عندهم أن يكون على يقين مما يجادل به وليس ذلك الا للانبياء عليهم الصلاة والسلام وأهل الكشف رضى الله عنهم وأما غيرهم فغاية أمره الظن أو الوهم لانه بالاجتهاد وفى المتقن من أمور الشريعة الظاهرة كفاية لمن وفقه الله ولا يحتاج الى مجادلة لان القلوب محجبت عن فهم أسرار الشريعة لعدم اصلاح الطعمة ولأمر يريده الله تعالى واعلم ان من جادلك فى أمر وأكثر عليه فيه ولم يرجع فاعلم أنه مملوك تحت سلطان الاسم القاهر له فلا

٢ قوله ولم يزدد هدى لعله رواية والا فالمشهور زهدا اه ٣ قوله ما مات لعله ما فات اه

يرجع الى كلامك حتى ينقضى زمان القهر كما أنك أنت الآخر لا ترجع الى ما عنده لانك تحت القهر كذلك
ومقام العبد يظهر من كلامه لاسيما ان صمم عليه والظاهر عنوان الباطن فكل من يتكلم انما يتكلم عن ذوقه
وما هو غالب على باطنه فكله الى مشيئة الله تعالى فيما هو عندك باطل واتبعه فيما هو حق فافهم ذلك * ومن
شأنه أن لا يقتصر على التعلم دائما بل يكون له عمل غير العلم من قيام الليل والصدقات بما تيسر وترك الأذى
لكل بر وفاجر واعلم أن من المكر بالعبد أن يرزق العلم الذى يطلبه العمل ويحرم العمل به أو يرزق العمل
ويحرم الاخلاص فاذا علم العبد هذا من نفسه أو من غيره فليعلم أن المتصف به ممكور به فاذا علمت ذلك فقد قال
الامام الشافعى رضى الله عنه ينبغى للعالم أن يكون له خبيئة من عمل فيما بينه وبين الله غير العلم فان العلم غالبه ظاهر
للناس وكلما ظهر للناس من علم أو عمل كان قليل الجدوى فى الآخرة اهـ ويدل لهذا تقسيمه رضى الله عنه الليل
وجعله أثلاثا وجعل منه ثلثا للتهجد مع قوله الاشتغال بالعلم أفضل من صلاة النافلة فافهم فان لكل وقت من
ليل أو نهار اشتغالا بأمر مناسب له فالأفضل فى الاسحار التهجد والاستغفار وفى يوم الجمعة الصلاة على النبى صلى
الله عليه وسلم وتلاوة القرآن وهكذا كما يشهده أهل القرب من الله تعالى فيجد والكل عبادة حلاوة فى فعلها فى
الزمن المناسب لها وأما غيرهم فهم يخبطون خبط عشواء فتارة يصيبون وتارة يخطئون ومثالهم عند اشتغالهم
بخلاف الأول مما لا ضرورة اليه مثال من اشتغل عند طلوع روحه بالنحو واللغة وعمه عدم معرفتها * وروى
الامام أبو حنيفة رضى الله عنه بعد موته فقيل له ما فعل الله بك فقال هيهات ان للعلم شروطا وآفات قل من يخلص
منها فقيل فغفر لك بماذا فقال بتسبيحة كنت أقولها بالغداة والعشى وكذلك أئمة الطريق كالجنيد وغيره فاعلم ذلك
ومن شأنه أن يتأدب مع الله تعالى ولا يتكلم الا فيما يعلم ويؤمن بالمتشابه من كلام الله تعالى ويقف على حد
ما يعلمه الله منه ولا يخوض فيه من غير تحقيق والعلم بالمحكم من كتاب الله تعالى كاف لمن يريد العمل وأما المتشابه
فان كشف الله عن بصيرته رأى الأمر المراد منه على نزاع فى ذلك أيضا والا فالأدب الوقوف عن الخوض
والتأويل الى ما يفهمه هو وقد قال شيخنا رضى الله عنه من أراد أن يحفظ من تزيين الباطل فليقف عند ظاهر
الكتاب والسنة لا يزيد على الظاهر فان التأول قد يكون من التزيين فما أعطاه الظاهر جرى عليه وما تشابه عليه
وكل علمه الى الله تعالى وآمن به فهذا منهج ليس للتزيين عليه سبيل ولا يقوم عليه حجة عند الله تعالى فان كان من
أهل البصائر فهو يدعو الى الله على بصيرة ويتكلم عن بصيرة وقد برئ من التزيين فهو صاحب علم صحيح وكان
من أهل الزينة لا من أهل التزيين اهـ فعلم أن وقوف العبد عن الخوض فيما لا يعلم من الدين هو الحق وقد سئل
أبو بكر الصديق رضى الله عنه عن آية فقال لا أعلم فكأن السائل استبعد ذلك فقال أبو بكر رضى الله عنه أى
سماء تظلنى وأى أرض تقلنى ان قلت فى كتاب الله ما لم يرده فلا يحل التكلم على معنى ذلك الا لمن يصدق عليه
قوله تعالى فى حقه فى الحديث القدسى فبى يسمع وبى يبصر وبى ينطق الحديث فيكل العبد ما لا يعلم الى العالم به
ولا يطلبه بالفهم فيفوته حظ الاقبال على الله تعالى ويسىء الأدب ويتعرض للمقت ويبدو لهم من الله ما لم يكونوا
يحتسبون وهكذا أعيان السلف رضى الله عنهم أجمعين فانهم سلموا بنور الايمان علم ذلك الى الله تعالى مع الايمان
والتحقيق لما تعطيه تلك العبارات من المعانى بالتواطؤ عليها فى ذلك اللسان المبعوث فيه هذا الرسول صلى الله
عليه وسلم فالتسليم من كل قاصر عن درجة الكشف والتقى أولى من التأويل لأن غالب الناس ليسوا من
أهل الفهم عن الله تعالى لجهلهم وبعدهم بحظوظ أنفسهم عن فهم كلام ربهم وقد ذم الله تعالى من هذا حاله
وقال فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله فمن أراد
الوقوف على فهم معانى كلام الله تعالى فليعمل بما شرعه الله له من التقوى والعمل كما كان الأئمة رضى الله عنهم
فانه يفتح له باب العرفان بها لأن الحق حينئذ يتولى تعليمه اياها لقوله واتقوا الله ويعلمكم الله ومن كان الله معلمه
فهم كل شئ له طريق اليه ويصير الكل فى حقه لا يحجبه * واعلم أن كل من عرفه الله تعالى تأويل المتشابه
لا يخلص له الا المحكم بما عرفه فلم يزل عن المحكم عليه المتشابه لان غاية العالم الذى علم التأويل أن يعلم تأويله
بالوجه الواحد لا بالوجهين لانه صالح للطرفين فالمحكم محكم لا يزول والمتشابه متشابه لا يزول ولو علما ولذلك لا

يحتمل ان علم العالم بما يؤول اليه ذلك اللفظ في حق كل من له فيه حكم يخرجه عن كونه متشابها ليس الامر
كذلك بل هو متشابه على أصله مع العلم بما يؤول اليه في حق كل من له نصيب فيه * ولنذكر بعض ما يخاض فيه
في الغالب بغير علم فمن ذلك التكلم على الحروف أوائل السور والتكلم على نزول ربنا الى سماء الدنيا ومجيئه
والملك صفا صفا واتيانه في ظلل من الغمام ومعنى الاستواء على العرش ومعنى القدم والوجه واليد والجنب
والتقرب بالذراع والباع والهرولة وكون قلب عبده المؤمن يسعه وكون يداه مبسوطتين ومعنى قوله لما خلقت
بيدي وتجري بأعيننا والقلب بين أصبعين من أصابع الرحمن والسموات مطويات بيمينه وكلتا يدي ربنا يمين
مباركة والمعية والضحك والفرح والتعجب والتبشبش والبصر والعلم والكلام والحد والمقدار والرضا والغضب
وغير ذلك فهذه كلها وأمثالها أخبار عن الذات أخبر الله تعالى بها عن نفسه والأدلة العقلية تحيل ذلك فان كان
السامع صاحب النظر العقلي مؤمنا تكلف التأويل في ذلك لوقوفه مع عقله وان كان السامع منور القلب
بالايمان آمن بذلك على علم الله فيه مع معقول المعنى الوارد في المتلفظ به من يد وأصبع وعين وغير ذلك ولكن
مجهول النسبة الى أن يكشف الله تعالى عن بصيرته ويدرك المراد من تلك العبارة كشفا فان الله ما أرسل رسولا
الا بلسان قومه أي بما تواطؤا عليه من التعبير عن المعاني التي يريد المتكلم ان يوصل مراده فيما يريد منها الى
السامع فالمعنى لا يتغير البتة عن دلالة ذلك اللفظ عليه وان جهل كيف نسب فلا يقدح ذلك في المعقول من معنى
تلك العبارة ثم جاءنا الشرع بانه تعالى موصوف بكذا وكذا فقبلناه يقينا وعلمنا معناه بالتواطؤ وعرف اللسان أي
اللسان جاءنا فأضاف تعالى المعاني الى نفسه وذاته وانه عليها من يدين وأصبعين وعين وغير ذلك مما سبق بعضه
ووصف نفسه به ووصف نفسه بان العبد اذا تصدق مثلا يطفي بصدقته غضب الله عليه وهذا كله معقول المعنى
مجهول النسبة الى الله تعالى يجب الايمان به على كل انسان خوطب أو كلف به من عند الله وهذا كله خارج عن
الدلالة العقلية الا أن يتأول فحينئذ يقبله العقل فقبوله بالايمان أولى لانه حكم حكم به الحق تعالى على نفسه أنه
كذا مع انه ليس كمثله شيء فنفى عنا العلم بوجه النسبة اليه على وجه الاحاطة فقبولنا العلم بذلك عن نفسه أولى بنا
ان نقبله منه من حكم حكم به مخلوق وهو العقل عليه فمن قدم ما حكم به العقل على ما حكم به الله على نفسه فهو
في عمى شديد فتأمل هذا المحل فانك لا تجده في كتاب وقد ذكرنا جملة مما عليه خاص بقدم الولاية في كتابنا تنبيه
الأغبياء على قطرة من بحر علوم الأولياء فراجعه * ومن شأنه أن لا يخوض في الكلام على معنى معاصي الأنبياء
لا سيما صورة معصية أبي المرسلين آدم على المرسلين وعلى نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام لان الخوض في ذلك
خاص بكمل الورثة من الأولياء لأن الوارث له المقام بتمام موروثه علما وان لم يتلبس به ذوقا لان الأنبياء عليهم
الصلاة والسلام لهم مؤاخذات بحسب مقامهم لا يذوقها غيرهم وغير ورثتهم واعتقادنا التعظيم لهم والتفخيم
لشأنهم كفاية فحملهم الى أكمل الأحوال صلى الله عليهم وسلم ولا يقال المنع من الخوض في مثل هذا نقص يصير
به القرآن أعجميا كالخطاب بما لا نفهم لانا نقول قال الله تعالى فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وليس
أهله الا الأولياء والعلماء الراسخون ونحن مأمورون باتباعهم لأنهم ورثة الأنبياء وأمناء الله تعالى على اسراره
فاذا قالوا شيأ وجب علينا اتباعه (واعلم) أوّلا انا نقول ان ما فعله آدم عليه السلام كان بقضاء وقدر لا مرد له وحج
آدم موسى وأيضا فلم يقصد عليه السلام بأكله من الشجرة انتهاك الحرمة انما كان ذلك بتأويل صحيح قصد فيه
وجه الحق حالة الأكل وهذا يقع لبعض العارفين من الأولياء فكيف بآدم عليه السلام فاذا علمت ذلك فمن
عصى بالتأويل فليس بعاص في حال وقوع الفعل منه لشبهة التأويل وأما بعد وقوع الفعل فيصدق الفاعل انه
عصى عند نفسه ويحكم عليه لسان الظاهر بذلك فهو كالمجتهد في زمان فتواه بأمر ما اعتقادا منه ان ذلك عين الحكم
المشروع في المسألة وفي ثاني الحال يظهر له بالدليل انه أخطأ فيكون لسان الظاهر بذلك يحكم عليه انه مخطئ في
زمان الدليل لا قبل ذلك فافهم وقد قال سيدي أبو مدين شعيب القطب الرباني شيخ الغرب رضي الله عنه لو علم آدم
حين أكله من الشجرة انه ينزل الى الارض ويخرج من صلبه جملة الأنبياء والمرسلين لأكل الشجرة جميعها لما وجد
عليها من البركة فكانت معصية آدم في غيب الله تعالى من عين المنة عليه وكان ظاهرها في ظاهر الأمر معصية

وباطنها

وباطنها رحمه اه أى فى حق أهل السعادة وأما أهل الشقاوة فكما لا يعبأ الله تعالى بهم كذلك لا نعبأ بهم وسمعت شيخنا أيضا رضى الله عنه يقرر فى ذلك تقريرا حسنا فأحببت أن أذكره لان فيه تعظيما لآدم عليه السلام وان كان فيه دقة وغموض على أكثر الأفهام اذ هو خاص بالمحققين من العارفين لانه من اشارات الأسرار فقال رضى الله عنه تعليم الحق لآدم عليه الصلاة والسلام الأسماء اقتضى الاشارة الى أكله من الشجرة ولو لم يأكل منها لعصى الارادة السابقة على انه لا يمكن عصيانها فالعبد مطيع للارادة فى جميع ما يفعله وان عصى فانما يعصى الامر فقط اذ لا تتحرك ذرة الا بارادته ولان مسميات تلك الاسماء التى من جملتها القصعة والقصيعة والفسية والفسوة والقدوم والطاحون والمحراث وغيرها من جميع الآلات كلها كونيات لا تقبل شيأ من المحل الذى كان فيه وعلم عليه الصلاة والسلام ان المطلوب منه استعمال تلك الاسماء ومسمياتها فبقى مترقبا النزوله الى المحل الذى فيه كمال ملكه ومحل خلافته لينفذ أمر مستخلفه تعالى على ما استخلفه عليه بما سيظهر عنه من هذا النوع الانسانى وكان قد علم ان سجود الملائكة انما كان تكفيرا لهم بما قالوه فى حقه حيث نسبوه وذريته الى الفساد وسفك الدماء وعلم أيضا ان المراد منه انما هو القيام بالعبودية وما تقتضيه حقيقة الربوبية والعبودية تذلل وخضوع ولا يكون ذلك الا فى السفليات وعلم أيضا باطلاعه فى اللوح المحفوظ انه لابد من اظهار خلق منه على هيئته كما أراه الحق ذلك فى عالم الذر حين استخرجهم منه لاخذ الميثاق الاول ومن هنالك علم برتبة النبى صلى الله عليه وسلم وبداود الذى سيرث هذه الخلافة مع زيادة أخرى أعم حكما وتصريفا وأكرمه بما وهبه من عمره ليتم ملكه به فلما تعارضت هذه الحقائق عنده عليه الصلاة والسلام كان لسان حاله مشيرا الى انه علم ان الشجرة المنهى عنها مذكورة له بالامر بالنزول الى محل العبودية والافتقار فانه لو لم يعلمه الحق تعالى بتلك الشجرة لما أكل منها قطعا وانما أكل منها لعلمه بأن النهى عن الاكل فيه أمر بالاكل فكان الحق سبحانه وتعالى قال له ان أكلت من هذه الشجرة أنزلتك الى دار خلافتك وهو يعلم يقينا من قوله تعالى انى جاعل فى الارض خليفة انه لابد أن يخرج من الجنة الى الارض فلذلك استعجل واعتمد حين نزوله على السبب التى هى نفسه وطلب بذلك المدح من ربه حيث انه بادر الى المطلوب فعوقب بالذم بدلا عن المدح وأخبر الحق تعالى عنه بأنه كان ظلوما لنفسه جهولا باختياره مع ربه وباتكاله على السبب دون أن كان يتولى الحق ذلك بنفسه والسلام على ان آدم لم يقع منه الاكل الا وهو ناس كما قال الله تعالى ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما انتهى كلام شيخنا رضى الله عنه * وقال القطب الربانى سيدى أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه ما أنزل الله السيد آدم عليه الصلاة والسلام الى الارض الا ليكمله لان الانبياء عليهم الصلاة والسلام لا ينتقلون من حالة الا لاكمل منها لدوام ترقيهم فتارة يكون الترقى بالتقريب والتخصيص وتارة يكون بالذل والمسكنة وهذه فى التحقيق أتم لانها وصف العبد فحصل لآدم عليه الصلاة والسلام بذلك عبوديتان عبودية التعريف السابق وعبودية التكليف اللاحق فعظمت بذلك منة الله عليه اه فافهم ذلك واحذر من الانكار فانه المهلك وباله يرجع عليك فكانت مبادرة آدم عليه الصلاة والسلام للاكل من الشجرة لتحصيل ما سبق فى علم الله تعالى فعوقب على ذلك قبل الاذن الصريح له بذلك والحكمة الالهية لا تقتضى ذلك ان الله لا يأمر بالفحشاء ولم يزل لله الحجة البالغة على خلقه ليظهر كماله وفضله ولان رتبة العبد انما تحت القهر ولذلك قال عليه الصلاة والسلام مع علمه بان ما وقع منه بقضاء مبرم ولا مرد له ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ولو لم ينسب الحق تعالى للعبد مخالفة ومعصية لم تظهر له حجة عليهم وتأمل حال ابليس ونقصه فى مجادلته الحق وقوله كيف تأمرنى بالسجود ولم ترده منى فلو أردته لى لوقع فطرد ومقت ولعن لقلة أدبه فافهم ذلك وكذلك لا ينبغى الخوض فى قصة يوسف عليه الصلاة والسلام وفى الآية فى حقه ولقد همت به لتقهره على ما تريده منه وهم بها لتقهرها بالدفع عنه فالاشتراك فى طلب القهر منها ومنه ودليل ذلك قولها الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وما جاء فى السورة قط انه راودها عن نفسها وقد أشبع الكلام فى ذلك الشيخ فخر الدين الرازى فى تفسيره فراجعه وقد اجتمع بعض العارفين رضى الله عنه بيوسف عليه الصلاة والسلام من طريق الكشف وأخبره بهذا التأويل فقال صدقت

هو مراد الله تعالى من الآية واعلم أن ما جاء عن الأولياء من طريق الكشف مما فيه تعظيم لله وآداب معه ومع رسله نؤمن به ونتبعه لأن التعريف باق في هذه الأمة لا التشريع واعلم أن الأحكام الشرعية لا تثبت بالكشف لعزتها ولأنه لو فتح هذا الباب تخالفت الأحكام وفسد نظام الشريعة لكثرة المدعين إذا علمت هذا فمثل هؤلاء العارفين هم الذين يفهمون كلام الله تعالى لأنهم إذا شكوا في نقل عدلوا إلى الكشف الصحيح الذي لا يناقض الكتاب والسنة لأن ما يفتح الله تعالى به عليهم لا يعملون به إلا إن وافق الشرع وإلا رموا به لأنه جهل والجهل عدم واعلم أن الولي لا يأمر أبدا بعلم فيه تشريع ناسخ لشرع نبيه ولكن قد يلهم لترتيب صورة لا عين لها في الشرع من حيث مجموعها وإن كانت من حيث النظر إلى كل جزء منها أمرا مشروعا فهو تركيب أمور مشروعة أضاف بعضها إلى بعض هذا الولي أو أضيفت له بطريق الإلقاء فظهر بصورة لم تظهر في الشرع بجمعيتها فما خرج بهذا الفعل عن الشرع المكلف به لأن الشارع قد شرع له أن يشرع في مثل هذا بقوله من سن سنة حسنة فليس الحديث فقد بين له أن يسن ولكن فيما لا يخالف شرعا مشروعا هذا حظ الأولياء من الأنبياء فافهم ومن ذلك ما يتعلق بالسيد إبراهيم عليه الصلاة والسلام وأنه كذب وكذلك السيد لوط والسيد سليمان وغير ذلك مما الأنبياء مبرؤون منه ومنزهون عنه وعما يفهمه القاصرون من أحوالهم ولسنا بصدد تقرير جميع ذلك فإنه يطول وإنما نبهناك بما ذكرناه على ما تركناه والله يتولى هداك وهو يتولى الصالحين * ومن شأنه أنه ما دام مقلدا للشارع أو المجتهد لا ينبغي له أن يسأل عن علة في الحكم ولا عن فرق بينه وبين حكم آخر لأن العلماء لم يهتدوا في تولد المسائل من أزمان متعددة وغاية أهل هذا الزمان فهم ما قاله المتقدمون لا سيما والقلوب مشغولة بالبلاء النازل والدين المسائل فافهم ذلك * واعلم أن كل عمل لم يظهر له الشارع تعليلا من جهته فهو تعبد محض والعبادة بلا معرفة علة أظهر من العبادة مع معرفتها لأن العمل إذا علل ربما يكون الباعث للعبد على العمل حكمة تلك العلة فإذا لم يعلل كان الباعث عليه العبادة المحضة ولأن البحث عن علل الأحكام وفروقها ليس من شأن العبد لأنه إنما كلف بفعل المأمورات وترك المنهيات لا بمعرفة عللها وفروقها وكل من سأله إنما سأله عن المنقول في المسألة من حكمها فقط لأن معرفة العلل ليست بشرط في العمل ولأن بحث العبد على ذلك يضيع عليه الزمن بغير فائدة ولا يرجع بعد البحث الطويل إلا للكلام من هو مقلد له من الأئمة لأنه لا يجترئ على العمل بخلاف المنقول ويرى بطلان عبادته وغيرها إذا خالفه فمن فهم هذا استراح من استشكال حكم بالنحو وصار فقهه كله بلا إشكال وأمره محمول على من هو مقلده وقد قربت لك الطريق إلى تحصيل هذا العلم الذي أنت مشغوف به والزمان لا يحتمل أكثر من ذلك كما هو مشاهد ولا ينكر في ذلك إلا أعمى القلب لأنه مكابرة في المحسوس ومن شأنه أن لا يكون عنده كبر ولا دعوى بعلمه وسعة اطلاعه وليعلم أنه كلما ازداد علمه كثر حسابه وتوبيخه في الآخرة مع أن العلم الذي يتكبر به ليس هو علمه لأنه ناقل له عن غيره فقط وإنما علم الرجل ما لم يسبق إليه بل قال شيخنا رضي الله عنه أن كل من كان علمه مستفادا من النقل فليس بعالم بل يقال إنه صاحب صاحب علم لأن معنى العلم قائم بالحرف والحرف مصاحب للكتاب وقال أيضا رضي الله عنه كل علم يقبل صاحبه الشبهة فليس بعلم ولا يقال فيه علم إلا إذا كان عن ذوق إذا علمت ذلك فأنت بعيد عن درجة العلماء العارفين فكيف تتوهم أنك منهم وفي درجتهم وإنما أنت تنقل قال فلان أو قال فلان مع أن هذا العلم لا ينزل معك البرزخ منه شيء إنما هو من أحكام الدنيا لأن الآخرة ليس فيها شيء من هذه الأحكام وشرط العلم أن لا يماري صاحبه دنيا وعقبى وليس ذلك إلا العلم بالله وصفاته وأسمائه والأدب معه ومع مصنوعاته وانظر حالك عند النزع هل يصير عندك ميل إلى سماع أبواب البيوع والإقرار والدعاوى وغيرها فضلا عن أن تشتغل بها وإنما ذلك والله أعلم لك بما أنت قادم عليه وانكشاف الأمر لك بما ينفع في الآخرة ولو قال لك حينئذ شخص قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عبد الله بشيء أفضل من فقه في الدين لا تلتفت إليه حينئذ وتقول له أنت فارغ فحال أهل الحق طول عمرهم كحالك عند النزع وحينئذ فكما لا تشتغل أنت حينئذ بالنحو واللغة والتصريف كذلك هم لأن الأمر مكشوف لهم دائما فلا يصرفوا العمر إلا في أنفس الأمور رضي الله عنهم واعلم أن ما بأيدي الخلق من العلوم

لا يجيء قطرة من بحر علومهم كما يعلم ذلك من كتابنا تنبيه الأغبياء على قطرة من بحر علوم الأولياء وقد كنت أظن قبل أن أذوق ذلك أن العلم هو علم الظاهر والنقل إلى أن فتح الله لي بعض علوم من معاني القرآن والحديث فقدرت ما ظهر للناس كقطرة من البحر المحيط فلله الحمد وما أوتيتم من العلم إلا قليلا وإليه الإشارة بقول الإمام علي رضي الله عنه أقدر أن أستخرج وقر بعير من العلوم من معنى الباء فافهم ومن شأنه وآدابه مع الله تعالى أنه إذا قرأ كلاما قرآنا أو حديثا أو غيرهما ولم يعطه الله فهمه في حال قراءته أنه يعرض عنه إلى غيره ولا يقف يتفكر بالفكر فإن المحل مشغول فيحتاج إلى التنظيف فإن القلب إذا كان خاليا من الأدناس لا يتوقف في فهم شيء وقد كنت في حال اشتغالي بالعلوم الفقهية أقف في بعض الأحكام وعللها وفروقها وكنت أسأل عنها شخصا أميا لا يعرف الألف من الباء يعمل بالمعاول فيجيبني عنها بأجوبة حسنة تزيل الإشكال وربما ذكرتها لشيخنا الشيخ زكريا رحمه الله فاستحسنها وأمر بإلحاقها في كتبه لا سيما شرح البخاري فعلم أن الأمي الذي لم يتقدم له اشتغال بعلم الظاهر والنقل أقرب إلى الفتح من الفقيه والمتكلم اللذين لا يعملان بعلمهما وسبب ذلك كما قال شيخنا رضي الله عنه أنه لما كان لا فاعل إلا الله وجاء هذا الفقيه والمتكلم ليدخلا إلى الحضرة الإلهية بميزانهما ليزنا على الله ردا وما عرفا أنه تعالى ما أعطاهما تلك الموازين إلا ليزنا بها لله لا على الله فحرما الأدب فحوقبا بالجهل بالعلم اللدني الفتحي فلم يكونا على بصيرة من أمرهما فإن كان من وقع له ذلك وافر العقل علم من أين أتي عليه فمنهم من دخل الحضرة وترك ميزانه على الباب حتى إذا خرج أخذها ليزن بها لله تعالى وهذا أحسن حالا ممن دخل بها على الله وأحسن منه من كسر ميزانه وأحرقه أو ذوبه حتى زال كونه ميزانا وقد قال الإمام الغزالي رضي الله عنه لما أردت علم النقل وأسلك طريق القوم خلوت بنفسي وتجردت عن نظاري وفكري ومكثت أشتغل بالذكر أربعين يوما فقلت إني حصل لي شيء مما حصل للقوم فنظرت فإذا فيه قوة فقهية مما كنت عليه قبل ذلك فعدت مرة ثم مرة والحال الحال ولم أذق شيئا من أحوال القوم فعلمت حينئذ أن الكتابة على المحو ليست كالكتابة على الصفاء الأول والطهارة الأولى وأن الرطب المعمول ليس كالجني انتهى واعلم أن الله تعالى لو أراد العبد العمل لفهمه العلم الذي توقف في فهمه لأن العلم بالشيء دائما متقدم على العمل به وإلا فكيف يعمل عالم بعلم وليس مراد الله منه الفهم والإحاطة بمعاني الكلام فقط إنما المراد العمل وتنظيف محل نظاره منه فافهم ومن شأنه إذا استدعى على شخص من الفقراء في أمور لا تدرك إلا بالذوق أن لا يبادر إلى الإنكار بل يتحيل في الرد عنه ما أمكن هكذا كان شأن شيخ الإسلام زكريا والشيخ عبد الرحيم الأنباسي رضي الله عنهما فإن رأى ذلك الأمر يلزم منه فساد ظاهر الشريعة أفتى ولام عليه لأن صاحب هذا الكلام ناقص فليس من أهل الاقتداء ونصرة الشرع أولى من الأدب معه بخلاف كمل الأولياء كأبي يزيد البسطامي وعبد القادر الكيلاني رضي الله عنهما وأضرابهما فيؤول كلامهم ما أمكن وقد قال أبو يزيد رضي الله عنه سبحان الله فناداه الحق سبحانه في سره هل في نقص تنزهني عنه فقال لا يا رب فقال الحق نزه نفسك فاشتغل بتنظيف باطنه حتى لم يبق فيه شيء مما يكرهه الحق فقال حين زال سبحاني والعجب ممن يؤول كلام الحق مع كماله ولا يؤول كلام البشر مع نقصه وعجزه فافهم ذلك ومن شأنه ترك التعصب لإمامه إذا علم ضعف دليله وعلم صحة دليل مذهب الغير لأن إمامه لم يقل له قلدني في كل ما قلته لعلمه بعدم العصمة من الخطأ وقد قال الإمام مالك إمام دار الهجرة رضي الله عنه كل أحد مأخوذ من كلامه ومردود عليه إلا صاحب هذا القبر صلى الله عليه وسلم وكذلك الإمام الشافعي نهى عن تقليده وتقليد غيره كما صرح بذلك المزني أول مختصره والحق أحق أن يتبع وقد قال بعض الحنفية رحمه الله عند قوله تعالى فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه إن الحق مع الشافعي رضي الله عنه لقوله منه ومذهبه يصح التيمم من على صخر ليس عليه غبار فرحم الله تعالى هذه الأمة ما أشد اعتناءها بالدين وضبطه ومن كلام الشافعي رضي الله عنه إذا صح الحديث فهو مذهبي وفي موضع آخر إذا رأيتم كلامي يخالف السنة فاعملوا بها واضربوا بكلامي هذا الحائط في الحقيقة ليس مذهب الشافعي بمذهب إنما هو شريعة محضة وكل دليل صح في مذهب غيره ولم يكن صح عنده فهو مذهبه عملا بقوله فمن نعم الله تعالى على طالب العلم كونه متبعا للحديث في كل فعل وروي عن الإمام أبي

حنيفة رضي الله عنه انه قال لاصحابه حرام عليكم ان تفتوا بكلامي ولم تعرفوا دليلي فعلم ان المتعصب لامامه في نحو ذلك مخالف لامامه وليس في عنق امامه منه شيء ولانه ليس كل ما يفهمه المقلد من كلام المجتهد يكون مراداً له قطعاً ولهذا اختلفت الطرق في فهم كلام المجتهدين وكل من ترك الدليل والقواعد أخطأ ولذلك لا يزال يخطئ بعض المقلدين بعضاً ولو صح دليلهم ما وسعهم ان يخطئوا فاحذر من التعصب واعلم ان جميع مذاهب المجتهدين كلها عند أهل الحق مذهب واحد لا يشهدون فيها تفرقة لاتساع نظرهم لانهم يشهدون العين التي استمد منها المجتهدون كلها واحدة في شريعة واحدة فهم كلهم داخلون في السياج وقد ذقنا هذا والحمد لله فلا يؤمر أهل الحق بالتقيد بمذهب معين من المذاهب المشهورة لان جميع المذاهب من باطنهم وهذا أمر يذوقه الفقراء فيصير ذوقهم يعادل ذوق جميع المجتهدين من غير تحصيل آلات الاجتهاد فهم يشهدون الامر أوسع من ان يتقيدوا فيه بمذهب قائل ببعض ما عندهم من العلم و بقول الجاهل بأمرهم هؤلاء لا يتقيدون بمذهب في معرض الذم لهم وهو معذور لانهم لا يسعهم من الله ان ينزلوا الى الأدنى مع قدرتهم على الاعلى والشريعة الصحيحة هي السمحة وهي التي ليس فيها مشقة ولا ضيق ولا حرج فالعلماء الراسخون يشهدون جميع الاقوال المذكورة في المذاهب كانها في مذهب واحد محمولة عندهم على أحوال كاجوبته صلى الله عليه وسلم المختلفة والسؤال بعينه واحد كما يعلم ذلك من تصفح السنة واليه الاشارة بخبر أمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم كما سيأتي قريباً اذا علمت ذلك فلا يظن المناقضة بين المذاهب الا القاصر عن درجة العلماء العارفين بأسرار الشريعة رضي الله عنهم أجمعين ومن شأنه أن يحذر من التكلم على حصر مراد كل قائل من الشارع صلى الله عليه وسلم والعلماء والاولياء فان التكلم على حصر مراد الغير في معنى واحد غالبه خطأ قطعاً اذ لا يتحد اثنان في ذوق واحد ومرتبة لوسع الطرق لانها بعدد أنفاس الخلائق فكل صاحب نفس له طريق تخصه فلا يصح أن يقال مراد القائل من هذا الكلام كذا فقط وانما الادب أن يقال الذي فهمته منه كذا ولا يقطع لانه حصر للحق في مذهب واحد وماذا بعد الحق الا الضلال فمن لم يشهد أن الشريعة واسعة تسع جميع المذاهب لزمه أمر شنيع لا يمكنه الخروج عنه وهو تخطئة بقية من خالفه من الائمة المجتهدين وسائرهم على هدى من ربهم فعلم انه ليس فهم كلام المتكلم أن تعلم وجوه ما تضمنته تلك الكلمة بطريق الحصر بما تحتوي عليه مما تواطأ عليه أهل ذلك اللسان انما الفهم أن يفهم ما قصده المتكلم بذلك الكلام من قصد جميع الوجوه أو بعضها فينبغي لك أن تفرق بين الفهم للكلام والفهم عن المتكلم وهو المطلوب فالفهم عن المتكلم ما يعلمه الا من أنزل القرآن على قلبه وأما الفهم للكلام فهو للعامة فكل من فهم من العارفين عن المتكلم فقد فهم الكلام وما كل من فهم الكلام فهم عن المتكلم ما أراده على اليقين له من كل الوجوه أو من بعضها فتأمل هذا التدقيق فانك لا تجده في كتاب * واعلم انك عاجز عن الاحاطة بفهم كلام جنسك من البشر فكيف لا تعجز عن فهم كلام رب العالمين فلا ينبغي ان يفسر كلام الله تعالى الا كمل ورثة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام المبرئين من الهوى ومتابعته تسلم من الشكوك والظنون والأوهام والدعاوى الكاذبة المضلة عن الهدى وحقائقه وماذا عليك أن تكون عبد الله عز وجل ولا علم ولا عمل وحسبك من العلم العلم بالوحدانية ومن العمل محبة الله ومحبة رسوله ومحبة الصحابة واعتقاد الحق مع الجماعة كما قال رجل متى الساعة يا رسول الله الحديث بطوله وقال الله تبارك وتعالى ان أكرمكم عند الله أتقاكم ولم يقل أكثركم علماً وتأمل في آيات الجزاء في القرآن تجدها كلها في العمل فقال هل تجزون الا ما كنتم تعملون جزاء بما كانوا يعملون جزاء بما كانوا يكسبون فهل قال بما كنتم تعلمون في آية من الآيات فافهم ذلك وأنزلت الكتب وأرسلت الرسل الا للامر بالمعروف مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً فاهل الله علموا ان المراد من العلم وتلاوة القرآن الاتعاظ والزجر والتخويف وانهم يسألون عن كل مسئلة علموها يعملوا بها واعلم أنه لا يؤثر في القلوب الا ما قام بها من العلم والتعظيم وتأمل الملك اذا كل من دخل السوق في صورة العامة ومشى بينهم وهم لا يعرفونه فانه لا يقام له وزن في نفوسهم واذا لقيه في هذه الحالة من يعرفه قامت بنفسه عظمته وقدره واثر فيه علمه فاحترمه وتأدب وخضع له فاذا رأى الناس الذين يعرفون فرب ذلك العالم من الملك وان

منزلته لا تعطى ان يظهر منه مثل هذا الفعل الا مع الملك فعلموا أنه الملك فغضوا أبصارهم وخشعت أصواتهم وسعوا له وتبادروا لرؤيته واحترامه فهل أثر ذلك عندهم الا ما قام بهم من العلم به فاحترموه بصورته فقد كانت صورته مشهورة لهم وما علموا أنه الملك لان كونه ملكا ليس عين صورته وانما هي رتبة نسبية أعطته الحكم في العالم الذي تحت يده * اذا علمت ذلك فيقدر علم تالي القرآن بعظمة الله تعالى يقدر ما عنده من الخوف لما فيه من الزواجر والتوبيخ ألا ترى شخصان يقرآن فيخشع أحدهما ويبكي والآخر ما عنده من ذلك كله خبر ولا يؤثر فيه فهل ذلك الا من أثر علم الخاشع القائم به لما نزل عليه تلك الآية وشهوده ما تضمنت من الأمر الذي أبكاه وخشع له والآخر أعمى عن تلك المعاني لا يجاوز القرآن حنجرته ولا أثر لتلاوته فيه فلم يكن الاثر لصورة لفظ الآية وانما الأثر لما قام بنفس العالم بها الشاهد لما نزلت له تلك الآية فلا يؤثر فيك الا ما قام بك من حيث ما تعلم وتشهد فلولا علمه بالامور ما هاله ولما ذقت هذا كنت لا أقدر على النطق بالقرآن لا في الصلاة ولا في غيرها الا مور يعذرنا فيها من ذاق هذا الامر ومن لم يذق فهو معذور ان شاء الله تعالى فلهذا كان أهل الله غائبين عما يقصده غالب القراء بقراءتهم لما فيه من البلاء والمؤاخذة بما أطلعهم الله عليه من الاشارات والتوبيخات وطلب مراعات صاحب الكلام وما يطلب من الطهارة الظاهرة والباطنة لمن يكون من أهل حضرته ويتلو كلامه بحضرته فلم يبق عندهم متسع لغيره فلذلك لم يقولوا على القراآت بالروايات والجمع بينها لان فيها تضييع العمر والاتعاظ يحصل برواية أبي عمرو مثلا وكذلك الاحكام ولم يقدر أحد من السلف يقرأ بجميع هذه الروايات ولم يفتن بها لانهم علموا ان القرآن عربي ولغة العرب واسعة ففرقة لغتها المد وفرقة لغتها القصر وفرقة تفخم وفرقة ترقق وغير ذلك من وجوه الاداء فجاء من بعدهم فأخذ كل واحد عن لغة قبيلة خوفا من التغيير عما كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من لغة حمير وهذيل وقريش وغيرهم فرضي الله عنهم أجمعين وما كانوا مقتصرين على نقلها فقط بل كانوا علماء بالله عاملين صائمين قائمين زاهدين خائفين كما يعرف ذلك من طبقاتهم وكذلك الائمة المجتهدون وقد مكث الامام أبو حنيفة رضي الله عنهم خمسين سنة يصلي الصبح بوضوء العشاء وكذلك كل واحد من الائمة فلم يكونوا مقتصرين على حفظ المسائل فقط ومثال من يصرف عمره الى علم القراءة ووجوهها ولا يلقي باله لما في القرآن من المواعظ والتهديدات والتخويفات مثال من أرسل اليه السلطان كتابا يأمره وينهاه بأمور كثيرة فأخذه وقبله وصار يدرس ألفاظه ليلا ونهارا بالمد والامالة والتفخيم والترقيق فأرسل اليه السلطان ينظر ما فعل في الاوامر والنواهي فوجده لم يفعل شيأ منها وهو على هذه الحالة فهل هذا مراد السلطان وهل هو فعل من له أدنى عقل فافهم ولا تجادل في ضد ذلك فان وبالله عظيم والقرآن والمنطق وغيرها ولا أحد يسأله عنها ولا يوجه اليه فيها خطابا وهو محتاج الى رغيف ولا أحد يلتفت اليه وهو متطلع الى ما في أيدي الناس من أوساخهم من الزكوات والصدقات فيستحل الذل ولا أحد يعطيه شيأ وفوت نفسه العمل من قيام الليل وكسب ما يعفه عن الخلق فهذا هو عمل الابطال لانهم لا يعدون بعلم بغير عمل ولا بعمل بغير حرفة تقوم بالعامل لامور تكشف لاهل الحجب في الآخرة فالاشتغال بالحرفة التي تعفه عن الناس أولى وأفضل في الدنيا والآخرة من الاشتغال بما لا يعمل به مما يكون حجة عليه * فمثال هذا مثال من أقام في بلاد قد خربت ومات جميع أهلها يحمي فرنا من أفرانها ليلا ونهارا رجاء أن يجيء أحد يخبز عنده ومكث سنين على ذلك ولا جاء أحد فجاءه شخص فقال له اترك هذا وانتقل الى بلاد العمران واعمل طباخا أو خبازا أو غير ذلك مما تنتفع به وتتعدى نفعه الى الخلق فأبى وقال يحتمل ان الدنيا تعود للعمارة ويجيء ناس يعمرون هذه البلاد ويخبزون عندي واستدام يحمي الفرن ويسهر فلا يستحق بفعله هذا اجرا لا من الله ولا من خلقه لا في الدنيا ولا في الآخرة وأتعب نفسه وضيع عمره ولا يقال الحق تعالى أقامه في ذلك فلا يمكنه الخروج عنه لانا نقول هذا ليس بحجة لانه يحتج بالارادة لانه لو فتح هذا الباب لرد جميع ما جاءت به الرسل من الأوامر والنواهي وتبيين مراتب الاحكام ولم يكن لنا علم بشرف العلوم وتساوت جميع الاديان لانهم كلهم لم يخرجوا عن الارادة فافهم والزم الادب فهذا المثال السابق مثال من اشتغل بالعلوم التي لا يحتاج أحد اليها ولا يزداد بها خوفا من الله تعالى * واعلم أن أهل الحق يشهدون جميع

العلوم حتى الحساب والهندسة وعلوم الرياضات والمنطق والعلم الطبيعي لها دلالة وطريق الى العلم بالله تعالى فتسميته هذه العلوم حجابا عن الحق لكون الناظر فيها لا ينظر فيها من حيث دلالتها على الحق فلذلك حجبهم عن موضع الدلالة التي فيها على الحق فوضع بذلك الذم على من اشتغل بها لحظة ما * واعلم ان جميع العلوم التي تحجب أكثر الناس هي عند أهل الله لا تحجب فيها انا علم ذلك فان قال انما اشتغل بالعلم خوفا أن ينسى قلنا فاذا أراد الله قبض العلم وأهله فمن يقدر على حفظه وقد شاهدت نسيانك للعلم وكلما حفظت شيأ أنسيته فهل هذا الا ان الله تعالى أراد ذهابه فصار الشخص يتكلم بالعلم في لسانه لا يتعداه الى قلبه وكل عام ترذلون فافهم ذلك والله يتولى هداك وهو يتولى الصالحين وهل يقال للمسكين في القبر وللزبانية على جهنم دعوه لانه كان يحفظ أبواب المعاملات أو يحفظ أبواب الفقه والنحو والأصول على ظهر قلبه أو يقرأ بالمد والامالة والتفخيم والترقيق كلا والله لا يترك ولا يكرم لأجل شيء من ذلك انما يكرم بالتقوى والعمل الصالح ومعرفة الله عز وجل وكف الاذى عن جميع الأنام ومن شك في ذلك فسيراه يقينا في الآخرة وأي فائدة فيمن يقرأ كل يوم ختمة ولا يلقي لما يقرأه بالا ولا يتعظ بشيء من مواعظه وزواجره واذا جاء اليه شيء من الدنيا وثب اليه وخاصم عليه ومزق عرض من نازعه في أخذه * وقد سئل شيخنا رضي الله عنه عن قول رب العزة لأحمد بن حنبل رضي الله عنه في النوم لما سأله فقال يارب بم يتقرب اليك المتقربون فقال بكلامي فقال يارب بفهم أو بغير فهم قال بفهم وبغير فهم فاجاب عن قوله بفهم هذا الفهم خاص بالعلماء وقوله بغير فهم خاص بالمحققين من العارفين لان العارفين ليس لهم آلة في فهم كلامه الا بالكشف الصحيح والذوق لا بالفهم والفكر الخاصين بعلماء الظاهر وأطال في ذلك كما ذكرنا في الأسئلة * ثم قال والعجب ممن عدم الفهم الذي هو العلم كيف يتقرب الى الحق بعدمه الذي هو الجهل فتأمل هذا فانه من النفائس ولسنا نأمر بترك الاشتغال بالعلوم وترك تلاوة القرآن بل نقول ان العبد لا ينبغي له ان يشتغل الا بما يتعدى نفعه ولا يرجع عليه وبالا من أجله في الدنيا والآخرة فافهم * واعلم انه ما ربي أحد من الائمة قط وقال غفر لي بعلمي لان غالب العلوم تدخلها النفس * وقد قال سيدي أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه كل علم سبق اليك فيه الخواطر ومالت اليه النفس والتذت به الطبيعة ولم يكن عن الله ولا عن رسوله فارم به وبالخلفاء الراشدين والصحابة والتابعين من بعده وبالهداة الائمة من رحمته بخلقه غفر لهم ما أخطؤا في تأويله اذا بذلوا الوسع ولم يخرجوا عن لسان الشارع فان لم يبذلوا الوسع فتفسيرهم ليس عن فهم ولا عن علم فافهم * فعلم ان ما فهمه المجتهدون رضي الله عنهم من الكتاب والسنة انما كان لأنفسهم لا للخلق أي لان كل مجتهد يوجب تقليد نفسه على كل فرد من أفراد العالم بل من الأئمة المجتهدين من نهى عن تقليد نفسه وأمر الناس بتحصيل رتبة النظر لانفسهم لان كلا من المجتهدين فهم ما قبله استعداده وكل من فهم أمر ألزمه العمل بما فهم لا يكلف الله نفسا الا وسعها فافهم ذلك * ومن شأنه وأدبه ان يؤول الاحاديث التي ظاهرها التعارض على وجوه شتى صحيحة ولا يرمي من الشريعة شيأ ما أمكن وهكذا فعل الامام الشافعي رضي الله عنه فليحذر من كونه لا يأخذ من الشريعة الا ما وافق نظره وما عدا ذلك يرمي به أو يجعله خطابا للعامة التي لا تفقهه وليحذر من نفرة نفسه منه ومن قول غير امامه وليؤوله على أحسن الوجوه ويرى الكل على الحق لان كلا قال باجتهاده والحق واسع ونبينا صلى الله عليه وسلم كان دائم الترقي فكل مجتهد أخذ بما ثبت عنده من الأمر والنهي ومن هنا تفرقت مذاهب المجتهدين ولما علم صلى الله عليه وسلم من نفسه الترقي في مقامات القرب رخص للمجتهدين بذل الوسع في استنباط الاحكام وصوبهم تارة لكمال استعدادهم وخطأهم أخرى لنقص استعدادهم من حيثية أخرى وأثبت لهم الاجر في الحالتين فما أخطأ من اخطأ الا لضعف الاستعداد ولو كمل استعداده ما أخطأ مجتهد * فعلم أنه لا ينبغي المبادرة الى القول بالنسخ عند التعارض بالرأي من غير تصريح بنسخه من الرسول صلى الله عليه وسلم لانه ربما يكون دليلا لمذاهب أحد من الأئمة المجتهدين فيقع العبد في قلة الأدب مع الأئمة ولأنه صلى الله عليه وسلم كانت أجوبته بحسب السائلين وكلامه بحسب الجالسين فليس كلامه لابي بكر رضي الله عنه ككلامه لاجلاف العرب فلا يصح طرد كل قول في حق كل افراد الأمة وهذا أمر معقول لقوله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم ومن

هذا القبيل قوله للجارية أين الله فقالت في السماء فقال مؤمنة ورب الكعبة ولو سأل أكابر الصحابة لم يسألهم بالأينية لعلمهم باستحالتها على الله تعالى واعلم ان كلامه صلى الله عليه وسلم بالألفاظ التي فيها حصر لجناب الحق مأمور به لأنه هو المبين قال الله تعالى وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم فلو سأل أحد غيره بالأينية لشهد الدليل العقلي بجهل القائل فانه تعالى لا أينية له فلما قالها الرسول وبانت حكمته وعلمه علمنا ان ليس في قوة هذا المخاطب ان يعقل موجودا الا بما تصوره في نفسه فلو خاطبه بغير ما تواطأ عليه وتصوره في نفسه لارتفعت الفائدة المطلوبة ولم يحصل القبول فمن حكمته أن سأل بمثل هذا السؤال وبهذه العبارة ولذلك لما أشارت الى السماء قال فيها انها مؤمنة أي مصدقة بوجود الله تعالى ولم يقل عالمة فافهم * وكذلك لما دخل صلى الله عليه وسلم على أبي بكر فرآه يصلي وهو يقرأ بخفض صوت فقال لم لا ترفع صوتك فقال يا رسول الله قد أسمعت ربي فقال له ارفع قليلا ودخل على عمر رضي الله عنه فرآه يجهر فقال لم لا تخفض صوتك فقال يا رسول الله أوقظ الوسنان وأطرد الشيطان فقال اخفض قليلا فعلمهما الأدب باخراجهما عن مرادهما الى مراده صلى الله عليه وسلم ومثل هذه الأمور في السنة كثير لمن تصفحها * وبالجملة فمن لم يذق من مذاق القوم شيأ لا يفهم أسرار الشريعة ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور والله أعلم * ومن شأنه ان يبدأ بالأهم من العلوم التي يحتاج الى معرفتها أو يسأل عنها أو يقدر أن يعمل بها لان الزمان لا يحتمل الاشتغال بغير الأهم وقد أخبرني شيخنا رضي الله عنه من طريق الكشف ان العلم ارتفع مكثه في القلوب من أول سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة فصارت القلوب تمجه ولا يجد له محلا يقيم فيه لأنها مشغولة بالبلاء النازل عليها ومن تكلم الآن في العلم انما يتكلم في علوم اكتسبها قبل السنة المذكورة * اذا علمت ذلك فأي فائدة لمن هو طول عمره في زاوية أو مدرسة يطالع دقائق البيوع والرهون والأقارير والدعاوى والنحو واللغة يرجع عليك وسيرى الله عملكم ورسوله واعلم انه لا ينبغي القراءة بالروايات والانغام الا لكمل الأولياء من ورثة الأنبياء فانهم يشهدون أمر الله لهم بالجهر في مواضعه وتحسين الصوت في تلاوة القرآن فلا يخرجهم ذلك عن حضرته ومناجاته التي هي المقصود بالتلاوة وأما غير الأولياء فانهم يحجبون بالنغمة وتحسين الصوت عن حضرة الله تعالى لضعفهم فيفوتهم المقصود لا سيما أئمة المساجد وخوفهم من الغلط واللحن والوقوف على غير وقف وغير ذلك فلا يكادون يحضرون مع الله تعالى والصلاة محل المناجاة لا تقبل الالتفات لغير الحق والعمدة في الصلاة اقامتها بحقوقها وآدابها لا فعل صورة الأركان فقط واعلم انه كان فرضا علينا الاقبال على الله على الدوام لقوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون الآية فخفف الله تعالى علينا وفرض الاقبال عليه وعلى مناجاته في الصلاة فقط فاذا غفلنا عنه في نفس الصلاة ولم نحضر فيها فلسنا مصلين الا بالاسم والقلب دائما لا يتوجه الا الى الأشرف عنده فأي شيء أشرف من الله حتى يشتغل عن الله به ولذلك قال أهل الحق رضي الله عنهم ان كل بلاء أهون على العارف من صلاة ركعتين مع هيئته بل اذا استحكمت منه تحول بينه وبين الصلاة ولما ذقت ذلك كنت لا أقدر أنطق بالقرآن لا في صلاة ولا غيرها وكنت أستغفر الله تعالى اذا سبق به لساني في غير الصلاة من غير قصد لغفلتي لأمور يشهدها صاحب هذا الحال يقصر عنها العبارة ثم كشف الله تعالى ذلك عني رحمة بي فلله الحمد وقال الامام الغزالي الغافل في الصلاة تارك لها وكما ان من ترك الأفعال الظاهرة يقتل بسيف الشريعة كذلك من ترك الأفعال الباطنة يقتله الجبار يوم القيامة لحديث اعبد الله كأنك تراه فالعبادة من شهود صريح أو تخيل شهود صحيح لا تصح هكذا مذهب أهل الحق فافهم ذلك والله يتولى هداك * ومن شأنه ان لا يعاهد الله تعالى حين يتعلم العلم على الجزم بالعمل به بل لا ينبغي له ذلك الا مع شهود معونة الله له فلا يعاهد الله تعالى على العمل به لأنه عاجز عن الوفاء بالعزم لان الحق لا يقيد عليه فيما يقدره على عبده وليس هو تعالى مع مراد عبده في كل ما يرومه فكيف يجزم أن يفعل شيئا ليس في قدرته أن يمتنع منه فالمراد من العبد أن يتعلم العلم امتثالا للأمر وما قسم الله له تعالى من العمل لا بد منه والحق سبحانه وتعالى أعلم بمصالح عبده منه فمن علم ذلك أفنى مراده في مراد الحق لان مدار الخلق وسعادتهم على عفو الله لا على العلم والعمل فكل من سامحه الله فهو الناجي وكل من أقام عليه المناقشة هلك ولو كان معه أعمال الثقلين ومن تأمل قوله تعالى والله خلقكم وما تعملون لم يجد

له عملا يتجر به ولو كان كثير العبادة كما شاهد ذلك أهل الله تعالى والا فالعبد قد يعاقب بعدم امتثال الأمر وبعدم اجتناب النهي لوضع اختياره وتدبيره وتحكمه على الله تعالى ولانه جاهل بما يقدره الله عليه في المستقبل وقد يكون ارتكاب النهي في حقه سببا لقربه من الله تعالى لما فيه من الذل وتنكيس الرأس كما شاهدنا ذلك في حق كثير من الناس وقد يكون فعله لصورة الأمر يزيده بعدا من الله تعالى لما فيه من الاعجاب والكبر على من لم يفعل كفعله وربما تكبر به أيضا على من فعل كفعله لظنه بغيره الرياء وبنفسه الاخلاص كما هو واقع كثيرا واعلم ان مراد الحق سبحانه وتعالى من الخلق رجوعهم اليه بأحد وجهين اما بالطاعات واما بالمعاصي فاذا أعجب الطائع بعبادته طرد ومقت فحينئذ يقدر عليه المعاصي فيبكي ويخشع ويذل لله تعالى فيقربه ويجتبيه ومن لم يقبل على الله بلاطفات الاحسان قيد اليه بسلاسل الامتحان ويقولون في المثل من لا يجيء بشراب الليمون جاء بحطبه فعلم ان الطاعة اذا لم تكن خالصة فانها تورث صاحبها الجفاء وقساوة القلب وقد قال سيدي الشيخ تاج الدين بن عطاء الله رضي الله عنه رب معصية أورثت ذلا وانكسارا خير من طاعة أورثت عزا واستكبارا اذا علمت ذلك فمن الأدب مع الله تعالى ترك المعاهدة للحق على فعل شيء أو تركه وتسليم العبد لله تعالى أمره وكل شيء أبرزه على يديه من الافعال بعطيه حقه فيتوب مما برز مخالفا للامر ويحمد على ما برز موافقا له وان كان ولا بد يعزم ان لا يعود فليراع الأدب وهو شهود مشيئة الله تعالى في عوده لان التحويل والتبديل واقع ليلا ونهارا فيقدم المشيئة كما ان المؤمن يقول انا مؤمن ان شاء الله تبركا وخوفا من التحويل لا شكا في ايمانه فافهم * واعلم انه لا يلزم من علم العبد بالأمر امتثاله ولا من علمه بالنهي اجتنابه كما هو مشاهد لانه تعالى اذا أراد من العبد ايقاع الفعل على صفة مخالفة للامر لا يكون غير ذلك فيصير العمل بالعلم عنه بمعزل وكذلك الحكم في جانب النهي فالادب مع الله تعالى خير كثير فافهم ذلك ولا تجادل فيه فان حالك يكذبك فانك تعرف فضل الوتر وعدد ركعاته والضحى ولا تفعل شيأ من ذلك وتبحث في فضل صلاة الكسوف ولا تفعل وتبحث في باب الصدقات ولا تتصدق وتبحث في آداب الصوم ولا تفعل وكذلك آداب الاعتكاف وصيغ البيع وتقرر التلامذتك ان كل ما أخذ بالمعاطاة حرام وغير ذلك مما لا يحصى فعلم انه لا ينبغي لاحد أن يعترض على أحد فيما هو منسوب الى الحق سبحانه وتعالى أو رسله كأن يعترض على الذاكرين الله كثيرا أو المسبحين أو التالين لكلام الله تعالى أو المصلين على رسول الله صلى الله عليه وسلم أو لاصحاب الاوراد لأن الطرق الى الله بعدد أنفاس الخلائق والطريق الذي يظن المعترض انها لا توصل الى الله تعالى بحسب ما عنده قد توصل اليه ولكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وكل ميسر لما خلق له وانما ذكرت ذلك ونبهتك عليه لان بعض طلبة العلم كثيرا الاعتراض على الذاكرين ويقولون الاشتغال بالعلم أفضل ولا يتأملون المراد من العلم ماذا أو يخرجوا على من بات ذاكرا ليلة القدر الى الصباح ولم يحرك أحد منهم ولا قال لا اله الا الله ولا قال اللهم اغفر لي وأي غرور فوق هذا ولا يسود الخلق عند الله الا بالعمل الخالص وكيف يقاس من يعلم ان في الناحية الفلانية بحرا عذبا يغترف منه ليلا ونهارا ويسقي الناس وقد نبهت شخصا للذكر ليلة القدر وكانت ليلة الجمعة فرفع رأسه واضطجع ونام وقال نوم العالم أفضل من عبادة الجاهل وياليته سكت فكل علم لا يزداد العبد به هدى لم يزدد به من الله الا بعدا وكل علم لا يزهدك في الدنيا ويرغبك في الآخرة لا يزداد بالتبحر فيه الا قساوة ودعوى وتكبرا وازدراء للخلق حتى تظن ان الخلق كلهم هالكون الا أنت واذا لم تكن تعمل بالعمل فانظر لنفسك بعين الاحتقار والتقصير فان الامر راق ان شاء الله تعالى فافهم ذلك * وقد استفتى شخص بحضرتي عن جماعة يتلون القرآن جهرا الى الصباح هل يحرم ذلك فقال نعم يحرم بنص القرآن لان الله تعالى جعل الليل سكنا وهؤلاء لم يجعلوه سكنا اه وما السائل الا للعجب واستفتى شخص آخر عن جماعة يذكرون الله تعالى ويصلون على النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الجمعة فقال هذا شأن البطالين الذين لا مروءة لهم ولا همة وهو من البدع وذكر الله تعالى ورسوله يكفي العبد في العمر مرة فانظر يا أخي هذا الجواب وما فيه من الجفاء والظلمة وقلة الأدب مع الله ورسوله بجعله ذكر الله تعالى بدعة وهو لم يعرف البدعة فان كل ما ابتدع على طريق القربة الى الله تعالى فهو من الشريعة والسنة الطاهرة قال الله تعالى ورهبانية

ابتدعوها وقال النبي صلى الله عليه وسلم من سن سنة حسنة فليسن فأجاز للامة استنان ما هو حسن وجعل
فيه الاجر لمن ابتدعه ولمن عمل به وأخبران العابد لله بما يعطيه نظره اذا لم يكن على شرع من الله معين انه يحشر
أمة وحده بغير امام يتبعه فجعله خيرا وألحقه بالاخيار كما قال في ابراهيم كان أمة قانتا لله وذلك قبل أن يوحى اليه
وقال عليه الصلاة والسلام بعثت لأتمم مكارم الاخلاق فمن كان على مكارم الاخلاق كان على شرع من ربه وان
لم يعلم ذلك وسماه النبي صلى الله عليه وسلم خيرا في حديث حكيم بن حزام وانه كان يتبرر في الجاهلية بامور من
عتق وصدقة وصلة رحم وكرم وأمثال ذلك فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سأله عن ذلك أسلمت
على ما أسلفت من خير فسماه خيرا وجزاه الله به وان لم تفهم الشريعة هكذا فافهمت * اذا علمت هذا
فالمفتي بغير دليل شرعي بأن الاجتماع على ذكر الله تعالى على الهيئة المشهورة بدعة جاهل غبي مطرود ملعون
وحاله يدل عليه لانه لو كان من أهل القرب ما وسعه ان يتكلم بما قال فافهم وكيف يقدر العبد ان يصبر عن ذكر
الله تعالى وهو حياة القلب والروح كالماء للسمك * وفي البخاري وغيره مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر
ربه مثل الحي والميت وقد قال الله تعالى أنا جليس من ذكرني وقال أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه
فكيف يكون جليس الله تعالى من لا همة له ولا مروءة وقد وصل الى أعلى الهمم لان أعلى هم العارفين ان يتوالى
عندهم الحضور والانس بالله تعالى ومراقبته والحياء منه وهل يعلم أحد ما يمنح الجليس جليسه من العلوم
والمعارف والآداب والاخلاق فالزم الأدب مع الذاكرين وغيرهم فانه في الحقيقة أدب مع الله تعالى فانهم
ولا تكن من الغافلين فان وبال ذلك يرجع عليك في الدنيا والآخرة بالمقت والطرد كما هو مشاهد في أهل
الانكار على الاولياء * وقد قال الشيخ تاج الدين ابن السبكي رحمه الله ما رأينا أحدا مبتلى بالانكار الا وكانت
خاتمته خاتمة سوء على ان الاولياء الذين ينكرون عليهم ليسوا بأصحاب مذاهب في الشريعة كالائمة المجتهدين
اغا لهم ملاحظ يفهمها عنهم من يأخذ عنهم فرضي الله عنهم وعن المعتقدين فيهم أجمعين * ومن شأنه اذا كشف
الله تعالى عن بصيرته وفهم اسرار الشريعة لا يتقيد عن نقل المقلد في الاحكام من غير نظر في الادلة وفي كلام
الامام في فتواه لجميع الخلق فانه ليس على حد سواء بل يفتي كل سائل على حسب حاله فان أبوا الا أن يجيبهم
بالمنقول مع علمه بان الأمر أوسع من ذلك فليفتهم به لان الحق اذا أراد اثباته فمن الأدب عدم طلب دفعه وقد
اوضحت فساد طرد القاعدة في كثير من كلام الاصحاب من مذهب الشافعي اما كلام الامام رضي الله عنه
فلم أظفر بفساد طرد قاعدة من قواعده ومن مسائل الاصحاب قولهم بالافطار بوصول عين من جائفة ومأمومة
ونحوهما وهذا وان كان سدا للباب فليس فيه انتهاك حرمة للصوم لا يسمى أكلا لا في العرف ولا في اللغة ولا في
الشرع فلهذا قلنا ان من شأنه أن يكون يقظا متفطنا لما يستفتى فيه من الاحكام وينظر في أسرار الشريعة وما
جاءت به ولاجله وان علم من المستفتي مثلا عن حول الزكاة وقطعه بالخروج عن ملكه هروبا من الوجوب
والاخراج لا يفتيه بل يسكت ويتثبت في أمره لان المبادرة الى فتواه بالمنقول يسد باب الزكاة ويفتح باب المنع
للفقراء والحق تعالى لا تدخل عليه الحيل ومخادعة الله تعالى تورث المقت والغضب والطرد وأين الآيات
والأحاديث الواردة من الامر بدفعها لمستحقيها وأين قوله صلى الله عليه وسلم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على
فقرائهم وغير ذلك من الاحاديث وكذلك ينبغي له أن يتوقف في حيل البراءة من الصداق وغيره لان غالب ذلك
لا يقع الا بعد مضاجرة وأذى فيؤذي الرجل زوجته بغير حق و يتزوج عليها او يلتوي ويفعل جميع ما يخالف
غرضها والبشر لا يحمل ذلك دائما لا سيما النساء لما جبلن عليه من الغيرة والنقص فتطلب المرأة
الافتداء بالبراءة من الصداق وربما تعطيه زيادة عليه لانها كالاسير كما اهدنا ذلك كثيرا وقد قال الله تعالى
فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا فأين طيبة النفس في هذا فافهم ذلك ومن شأنه أن يتوقى
الفتوى بالتحكم على الله تعالى في الامور المجهولة التي لا تعلم الا بالكشف الصحيح من كمل الاولياء لقوة علمهم
لان الحق لا يخذلهم فيما يلتزمونه ويتضمنونه لهم عند الله تعالى كمن ضمن لشخص قصرا ان بنى سبيلا ونزلت
اليه ورقة من السماء فيها قد وفينا بما ضمنت ووقع ذلك لآخر وفيها ولا تعد اذا علمت ذلك فالادب ان لا تجيب

فى أمر الثواب والعقاب بشئ لان ذلك جهل وتحجير على الحق فقد لا يثبت على الطاعة التى أفتى فيها بحصول الثواب وقد لا يعاقب على المعصية التى أفتى فيها بوقوع العقاب والمراد من العلماء أن يبينوا الاوامر والنواهى فقط وأمر الثواب والعقاب الى الله تعالى لا اليهم فان وردت السنة بحصول الثواب والعقاب فى فعل بخصوصه فلا بأس بذكره لمن يعمل طلبا للثواب لانه يحكم التبعية ولا تحكم فيه على الله تعالى لانه هو الذى أخبر به عن نفسه واعلم ان الفطن فى دينه لا يخفى عليه مثل هذه الامور وقد نبهتك بهذا على ما سواه والله يتولى هداك وهو يتولى الصالحين

﴿الباب الثالث فى آداب الفقراء والمشايخ من السلف الصالحين﴾

وقد أحببت أن أشبع الكلام فى هذا الباب لكثرة المدعين فى هذا الزمان الفاتح لكل شر والخاتم لكل خير فصار كل من أذن له شيخه بتلقين الذكر أو لم يأذن له ومات وسمع فى خلوته هاتفا بالاذن له من ملك أو جن يظن أنه ولى الله تعالى كما سمعت ذلك من بعضهم وعن كثير ممن يقلده من العوام الذين لم يفهموا حقيقة الامر فضلوا وأضلوا الان درجة الولاية مرتبة عظيمة يعنى ان من جملتها أن يعرف ولايته أهل السموات وأهل الارض والحيوانات والنبات وتحبه الخلق أجمعون الا من شاء الله من الثقلين بمحبة الله له قال بعض العارفين رضى الله عنهم مشيت أنا وبعض اخوانى فى جبل قاف فمررنا على الحية المحيطة بالبحر المحيط فسلمنا عليها فردت علينا السلام ثم قالت ما حال أبى مدين شعيب مع أهلها وكان بجاية من أرض المغرب اذ ذاك فقلنا لها تركناه فى عافية ومن أعلمك به فتعجبت وقالت وهل على وجه الارض أحد يجهل انه والله ممن اتخذه الله وليا وأنزل محبته فى قلوب جميع المخلوقات من ناطق وصامت فانظر مرتبة الولى وأما لو سئلت حمارته التى يركبها عن ولايته لا تعرفها فكيف بسائر الوحوش والسمك والنمل وغيرها فاعلم ذلك وقد كنا ألفنا كتابا وذكرنا فيه جملة المنازل التى ينزلها الأولياء وتطلع عليهم علومها وعدتها مائتا ألف منزل وثمانية وأربعون ألف منزل وذكرنا فيها من المنازل مائة منزل وأربعة عشر منزلا عدد سور القرآن العزيز وذكرنا فى كل منزل بعض علومه خوفا أن ينكر وجود المنازل وعلومها اذ لم يخطر ببال أحد من غالب فقراء هذا الزمان قال الله تبارك وتعالى بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله وقال واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم وأرجو من الله تعالى أن كل من طالع فيه من فقراء هذا الزمان يعلم يقينا انه لم يشم طريق الولاية فضلا عن حصولها له لانه يجد نفسه عاريا عن معرفة أسماء علوم الأولياء فضلا عن أن يحيط بحقيقتها اذ كل علم منها لا يدرك له قرار ولا يسطر فى الكتب ليطالع فيتكلم به ولذلك قال سيد هذه الطائفة أبو القاسم الجنيد رضى الله عنه لا يبلغ الرجل عندنا مبلغ الرجال حتى يشهد فيه ألف صديق من علماء الرسوم بأنه زنديق وذلك لان أحوالهم من وراء النقل والعقل وفوق كل ذى علم عليم ومن ادعى من القاصرين معرفة هذه العلوم كذبه العارفون وافتضح بالامتحان ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة ورحم الله من عرف قدره واستراح من الدعاوى الكاذبة الموجبة لسخط الله ومقته وأراح تلامذته بعد موته من التعب فى بناء مدفن وتابوت وستر وغير ذلك من آلات المشيخة اذا علمت ذلك فمن شأن الفقير أن لا يدخل فى طريق القوم الا بعد تضلعه من علم الشريعة والحديث والا خيف عليه الزندقة والابتداع لانه ينفتح للسالك أمور بحيث لا ينضبط على شريعة منها الا فاعل الا الله ولا مالك الا الله ولا موجود الا الله وهذا وان كان حقا لكن على هذا فالاحكام المأمور بها تتوجه على من يقول هو الآمر نفسه بنفسه وغير ذلك فان كان معه الميزان الشرعى وزن هذه الأمور وعلم ان لله الحجة البالغة اذا علمت ذلك علمت أنها طريق كثيرة المهالك والحفر والاوحال والمهاوى والحيات وغيرها لانها طريق مجهولة لا يعرف فيها السالك ما يستقبله من المهالك والى أين ينتهى فلا بد من دليل له يمشى فيها به وهو نور الشرع مع نور البصيرة قال الله تعالى نور على نور فلو كان نورا واحدا لما ظهر له ضوء فافهم * ومن شأنه ان يقرأ شيئا من عقائد السنة قبل دخوله فى طريق الفقراء ليصح اعتقاده مما يتوهمه غالب الخلق من الجسمية ونحوها أو انه تعالى فوق العرش فمن يعتقد ذلك على معنى الجلوس فهو عابد وثن تعالى الله عن ذلك وتأمل ما أقوله يتبين عندك وهو ان تعلم ان كلامه تعالى

قديم وقد قال قبل خلق العرش الرحمن على العرش استوى فاذا كان كذلك فما معنى الاستواء وما كان عليه قبل خلق العرش فما تقوله قبل خلقه فله بعد خلقه وكذلك خبر ينزل ربنا وجاء ربك ونحو ذلك تأول هذا الوجه فمن أمكنه رفع الأكوان كلها هان عليه الأمر لأنه كان قبلها وكان ولا سماء ولا عالم فهل كان يوصف بالنزول الى من ومن أين الى أين والعمدة في هذا الباب نفي الجسمية كما هو الامر عليه ومن شأنه ان لا يطالع في كلام القوم مادام مقلدا لهم الا كلام الكمل من الأولياء الذين لا يتقص ظاهره باطنه ولا باطنه ظاهره أدلة السنة واما كلام الاولياء الذين لم يبلغوا مرتبة الكمال من أرباب الأحوال فلا ينبغي النظر فيه لان كل أحد منهم تكلم عن ذوقه وعلم الفقير بأن فلانا ذاق كذا وكذا لا يفيد عنده شيأ بل ربما أورث عنده شهوة الى ذلك الحال فيحصل له قلة أدب مع الله تعالى بخلاف كلام الكمل فانه كله أدب مع الله تعالى ومع خلقه لوسعه فافهم ذلك * ومن شأنه ان يطالب نفسه بحقوق الخلق ولا يطالب الخلق بحقوق نفسه ولا يتكدر ممن زهد من أصحابه في مجالسته والقرب منه والتردد اليه لانه لا يخلوا ان كان ذلك خيرا لهم فهم الذين منعوا أنفسهم من الخير وان كان ذلك شرا لهم فقد استراحوا منه ومن مجالسته وأما تكدر الا كابر ممن ترك الخير فانما ذلك تكدر له حيث أصيب بما أصيب من ترك الخير لا تكدرا منه * ومن شأنه الذل وعدم التميز عن غيره بخلق غريب يعرف به الا أن يكون مغلوبا ويرى انه أحقر خلق الله المؤمنين على الاطلاق ولا يمكن أحدا من تقبيل يده ولا يحب ذلك من أحد ولا يمكن أحدا من الاطراق بين يديه لأن هذا صفة الملوك لا صفة العبيد فان كان ولا بد من الترخيص في ذلك فليمكن من أراد تقبيل يده أو غيرها مع رؤية نفسه عليه فقد يقع كثير البعض الفقراء ان يرى نفسه انه أحقر الخلق لا يرى غير ذلك ويرى أن تقبيل يده من تلامذته غاية التواضع منهم ولو علم في الخلق أحقر منه أمرهم بالتواضع معهم ليهديهم به فهذا لا يضره التقبيل مادام يرى نفسه كذلك والصادق تظهر عليه الامارات ومنها عدم انضباطه على حالة واحدة فيمنع تارة ويبيح أخرى بحسب خمود النفس وهيجانها واعلم انه يجب عليه أن يمنع من ذلك جزما حيث أدى الى نظام وقيام ناموس عليهم ولأي شئ لا يقبل هو يدهم كما يفعلون معه لولا أنه يرى نفسه عليهم وهذا لا يخفى على أهل البصائر واذا ألفت النفس التعظيم بهذا النظام ومجيء الناس اليها وقولهم نحن رائحون الى عند سيدي الشيخ ازدادت عتوا واستكبارا وشق عليها ترك ذلك وتجد استيحاشا لما تركوا المجيء اليها وتقبيل يدها ويغيبون عن حضرتها ويغضون أعينهم في وجهها ويقصرون في خدمتها والاعتناء بها فتدس على صاحبها المخدوع وتقول له احك لهم حكايات في باب الادب لعل الله لك هذه المصيبة ولعلهم يتأدبون معك وهو يظهر لتلامذته أنه لا يعبأ بأفعال الخلق ولا بادبارهم وقلبه كاد أن يتفطر لاجل ذلك ولا يقدر يصرح لهم بالأمر لانهم يتأدبون معه خوفا أن يزدروه اذا طلب ذلك منهم ولذلك تجده يحكي لهم حكايات في الادب وقصده منها أن يتعلموا الأدب معه فقط ولا عليه أن يقلوا أدبهم مع أحد من أقرانه بل ربما فرح في الباطن لذلك لتنقيص أقرانه بذلك حتى ينفرد هو بالتعظيم بين الخلق فيقول كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جلسوا حوله كأنما على رؤسهم الطير من الأدب والحياء معه صلى الله عليه وسلم وكذلك أصحاب الشيخ الفلاني والفلاني وأين هذا ممن هو معصوم أو محفوظ وأين من هو عبد لنفسه غارق في حظوظها خارج عن سياج العبودية بأفعاله ممن هو عبد خالص من رق الاغيار فسد هذا الباب أولى من الدخول في ورطته لقلة الهلاك فان ادعى أنه انما يمكنهم من تقبيل يده ليتعلموا الادب وذل النفس فليراع الصدق في ذلك ولانه يمكن انه يحرمهم في غيره من اخوانهم وأقرانهم ممن هو أحقر في أعينهم منه بل الغالب ممن يقبل يد الشيخ أنه لا يقبلها الا للتعظيم للشيخ ويرى الشرف والرفعة بذلك وكيف يكون في ذلك ذل وتواضع للتلميذ فافهم ذلك واتهم نفسك في جميع أفعالها وأحوالها العلك ناج ان ربك لبالمرصاد والله يتولى هداك وهو يتولى الصالحين * ومن شأنه ان ينزل الناس منازلهم ولا يتبع التقاليد في ذلك بل يكون يقظا فاعظم الناس حرمة وأحقهم بالتعظيم أكثرهم اتباعا للنبي صلى الله عليه وسلم فلا عبرة بتعظيم الخلق للفقير واقبالهم عليه وانتشار صيته بالصلاح والولاية فمن منا نخشى من لا يؤبه له ولا يؤهل لان يجالس معه لرثاثة هيئته ولا يصلح عالب المشايخ المشهورين ان يكون تلميذا له لأنهم

لا يفهمون كلامه في الطريق لدقته ومن شرط التلميذ أن يفهم كلام الشيخ ومن لم يفهمه لا يصلح أن يكون له تلميذا فافهم ذلك والله يتولى هداك وهو يتولى الصالحين * ومن شأنه أن يتحمل الأذى من جميع الأنام ويشهد ذلك من رحمة الله به ونعمة عليه حتى لا يركن إلى سواه لا سيما في ابتداء أمر الفقير * وقد قال سيدي أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه جرت عادة الحق سبحانه وتعالى مع أنبيائه وأصفيائه أن يسلط عليهم الأذى في مبتدأ أمرهم ثم تكون الدولة لهم آخرا كما وقع للسيد نوح عليه الصلاة والسلام وكذلك السيد موسى والسيد يوسف عليهما الصلاة والسلام وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم مع قومهم فالسيد نوح صبر حتى أغرق الله قومه وكذلك السيد موسى صبر حتى أغرق الله فرعون وجنوده وكذلك السيد يوسف صبر حتى صار عزيز مصر واحتاج إليه أخوته وغيرهم وكذلك نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لما أخرجه قومه من مكة رده الله إليها قاهرا بالسيف وكذلك السلف رضي الله عنهم أجمعين لكن من يدوم عليه الأذى طول عمره ويرمى بالزندقة والكفر ونحوهما من الأمور الباطنة لأن المعاصي الظاهرة تتنزه الفقراء عنها في الغالب ولو رماهم شخص بها لا يوافق على ذلك فلا يحصل لهم الأذى الكامل بخلاف الأمور الباطنة فإنها تدوم نسبتها إليهم في الغالب استصحابا لما قبل فيحصل الأذى الكامل المراد ومنهم من ينسب إليه بعض العقائد الزائغة في بعض عمره ثم يتغير الحال تأديبا له ولنفسه لأن لا تميل إلى الخلق لكثرة الاعتقاد منهم غالبا فيفسد عليه حاله لأنه يصير عنده ركون إليهم فيشتغل قلبه بمحبتهم والحق غيور لا يحب أن يرى في قلب عبده المؤمن محبة لغيره لأنه موضع نظره ولذلك كان ضرر الصديق ومخالطته أشد من ضرر العدو لأن العدو يصيبك في ظاهرك والصديق يصيبك في قلبك والعدو توصل به إلى طريق القرب خير من صديق يحجبك عنها فافهم واحذر أن تفهم هذا الكلام بخلاف المراد فيتخلل باطنك احتمال الأذى لتكون الدولة لك آخرا في التصرف في الخلق بالحال والقال لأن العبد المؤمن ليس له دولة في الدنيا إنما هي دار عمل وتحمل مشاق وأكدار فإذا علمت ذلك فتحمل الأذى اقتداء بالأنبياء والمرسلين والسلف الصالحين فقط فمن كان كذلك نصره الله تعالى من غير عشيرة ولا أهل إما بقدرة على احتمال الأذى فلا يبالي به أو بغير ذلك وقد كان أهل بلد أبي يزيد البسطامي رضي الله عنه يرمونه بالزندقة ويقولون هذا يظهر الإسلام ويخفي الكفر وكان رضي الله عنه من شأنه أن لا يقيم إلا في موضع الذم وكل موضع لحقوا به وعرفوا شأنه ومدحوه تحول عنه واعلم أن كثرة الإنكار عليك والأعداء لك مما يثبت لك أسوة بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام لقوله تعالى وكذلك جعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون فعلم أن عداوة جميع المؤمنين للعبد من شقاوته لأن قلوب المؤمنين لا تمقت إلا بحق لأنهم لا يجتمعون على ضلالة وأعظم نصابهم أربع رجال واعلم أن الدنيا ليست موطن ظهور الجزاء للتكليف فكل إنسان فيها مشغول بنفسه مطلوب بأداء ما كلف به من العمل فمن علم هذا لم يبال كيف أصبح ولا أمسى عند الخلق ولم يلتفت لمدحهم ولا ذمهم لأنهم في محل الحجاب وانظر إلى أحواله صلى الله عليه وسلم في الدنيا لم يظهر لنا منها إلا ما أخبرنا الحق تعالى من علو رتبته ولولا ذلك جهلنا قدره وفي الآخرة يظهر مقامه للخاص والعام فلا يظهر كماله إلا في الآخرة وكذلك كمل الرجال لأنها دار ظهور النتائج وأما الدنيا فإنما هي دار أعمال فمن طلب ظهور النتائج فيها فقد طلب غير الموضوع وباع آخرته بعرض دنياه فافهم وقال سيدي أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه لما علم الله سبحانه وتعالى أنه لا بد أن يتكلم في أنبيائه وأصفيائه قضى على قوم بالشقاوة فنسبوه إلى اتخاذ الصاحبة والولد حتى إذا ضاق الولي ذرعا من كلام قيل فيه نادته هواتف الحق هذا وصفك لولا لطفي بك فافهم وطب نفسا وقر عينا بجميع ما يقال فيك فإن جميع المنكرين رحمة من الله عليك وإلا لو عكس الأمر وجعلك منكرا عليه كالكافر والعاصي ماذا كنت تفعل فاحمد الله سبحانه وتعالى واسلك سبيل الأصفياء وكثرة المدح من جميع الخلق لا تغني عنك من الله شيئا وأنت عنده بخلاف ذلك وكثرة الذم والأذى من الخلق لا تضرك شيئا وأنت عنده بخلاف ذلك بل جميع المنكرين يفارقونك بالموت فهل ينزلون معك في القبر يتعصبون عليك ويتولون سؤالك أو حسابك في الآخرة واحذر رحمك الله من مدح الخلق لك أن تظهر التواضع فتحقر نفسك لما يعظمونك فإن ذلك يزيدك تعظيما عندهم بل اسكت إبهاما لهم بأنك تحب

المدح بما ليس فيك هذا هو الاصلح لك دائما فان قال لك الشيطان هذا مما ينفر القلوب منك وأنت تنفع الناس وتعلمهم الخير وانما يليق هذا الحال بالسواح الذين خربوا حالهم فقل له انما أنظر الى المحرك لهم وهو الله تعالى فان أقام في باطنهم تعظيما لى لا يمكنهم ان يحقروني واشهد ذلك فضلا منه وان أقام في باطنهم تحقيرا لى لا يمكنهم التعظيم لى ولو أظهرت لهم كل كرامة فافهم وبالجملة فمن كان قصده التعظيم عند الخلق لم يزل في تكدير لأنه لا بد في الوجود من منكر عليه وطلبه من جميع الخلق أن يقبلوا عليه بالثناء والحمد والاعتقاد جهل منه فلا بد له من ذام ومادح ولو كان في فضل نحو الصحابة رضى الله عنهم وقد كان شخص يذم الامام عليا رضى الله عنه وينكر عليه فاجتمع به المنكر فأثنى عليه بحضرة الصحابة رضى الله عنهم على خلاف عادته فقال السيد رضى الله عنه أنا دون ما تقول وفوق ما في نفسك فافهم فهمنا الله واياك فان من رضى بعلم الله فيه لا يتغير ولو توجه اليه الثقلان بالذم والتنقيص ولا يغيره على الله تعالى شئ بل شأن العبد الغفلة عما الناس فيه مطلقا شغلا بسيده وقد سمعت هاتفا على لسان الحق تعالى من شهد الأمور كلها مني لم يتغير من وجدان ولا فقد ومن خرج من حضرتي سلطت عليه أعدائي فلا يلوم الا نفسه والسلام فافهم فهمنا الله واياك ومن شأنه انه اذا أمر بشئ من الأدب أو نهي عنه ولم يمتثل المأمور أو المنهي ذلك لا يتكدر عليه قال الله تعالى ما على الرسول الا البلاغ وقال فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب وقال ثم تاب عليهم ليتوبوا فما دام الحق تعالى يخلق المعصية للعبد لا يمكنه ان يتوب فاذا ترك الحق تعالى خلق المعصية للعبد تاب العبد ضرورة ولذلك كانت رحمة الله تعالى يوم القيامة اذا استوفى أهل الحقوق حقوقهم لعلمه تعالى بانه هو الذي أنطق ألسنتهم بما قالوه وخلق في نفوسهم ما تخيلوه فسبحانه من حكم عدل لطيف خبير يفعل ما يشاء ولا يسأل عما يفعل فافهم ذلك فامر الامتثال راجع الى الله تعالى فان كان قسم له الامتثال فلا بد منه والا فليس في قدرة العبد الآمر ان يصيره ممتثلا ولم يرد الله له ذلك فاذا علمت ذلك فأمر برفق ورحمة وعدم احتقار وازدراء لأن الخلق محل لجريان الأقدار وما وقع فيه المأمور ونهي عنه جائز الوقوع في حقك فاذا كان قابلك راحما له لا يجيبك الآخر الا بالاذعان وشكر الصنيع لان قلبه أدرك رحمة قلبك له بخلاف ما اذا أمرت بنفس واحتقار وعدم رحمة لا يجيبك منه الا النفس فتقوم النفسان فلا يحصل الا الاباء وعدم الانقياد وهذا مشاهد كثيرا فافهم ذلك ومن شأنه ان لا يقول في شئ فعل لم فعل ولا في شئ ترك لم ترك لحديث أنس بن مالك رضى الله عنه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حال خدمته له ولا يخفى ان ذلك من الأدب مع الله تعالى لا مع الفاعل لان الفعل للشئ والترك له بقضاء الله تعالى وارادته هذا أدب أهل الله تعالى لعلمهم بحكمة الله سبحانه في كل واقع في الكون واما غيرهم فلا ينتهون عن ذلك الا اذا ذكروا به وفرق بين من ترك الاعتراض ابتداء وبين من لا يتركه الا بعد تأمل وتفكر واعلم ان المانع من الادب في ابتداء الحال الحجاب واقامة الحجة كقوله الشرع أمرنا ان ننكر أشياء وان نقول الاولى ترك هذا والاولى فعل هذا وهذا حق لكن القائل جاهل بحكمة الله تعالى فيما اعترض فيه واما من اعترض مع علمه بالحكمة فهو معترض باعتراض الشرع لانه حينئذ ناقل اعتراض الله تعالى فيما اعترض ما هو المعترض فمن ذاق هذا فليأمر بالمعروف ولينه عن المنكر ويقيم الحدود لأنه ما يرى شيأ الا ويرى الله سبحانه معه وهو أكمل ممن لا يرى شيأ الا ويرى الله فافهم هذا مشهد الصديق الاكبر رضى الله عنه اذا علمت ذلك وأردت تنهى شخصا عن فعل شئ فقل له لا تفعل الشئ الفلاني وتب وارجع الى الله تعالى هذا ما على الآمر والله غالب على أمره ولا تقل له لم فعلت لانه لا يفيد لانه وقع وانقضى فافهم ذلك ومن شأنه ما دام قاصرا عن درجة الفقراء الصادقين ان لا يتكدر اذا مرض ممن لم يزره من أصحابه ولم يفتقده بنفقة يستعين بها على مرضه من أجرة طبيب ودواء وغير ذلك لان ذلك ان كان خيرا لهم لكونه من حقوق الاخوان فهم الذين تركوه ومنعوا أنفسهم من الخير وان كان ذلك شرا لهم وله فقد استراحوا من مشاركته في هوى نفسه لان غالب الادوية لا يحتاج اليها فانفاقه ما يعطيه للفقير على حاجة عياله أولى من اعطائه للفقير لانه قد يعطيها لليهود أو يصرفها فيما يشيرون به عليه لاسيما ان كان الحكيم أعمى البصيرة فجمع بين الباطن والظاهر اما الفقراء الصادقون رضى الله عنهم فهم

غافلون عن هذا الامر لا يلتفتون اليه بعالهم لان الحق سبحانه أقرب اليهم من الخلق وتضييقه عليهم لشرفهم عنده فلا يشهدون ذلك بخلافه لانه تعالى لا يمنع عن بخل وهو أعلم بمصالحهم من أنفسهم فافهم ذلك ومن شأنه أن لا يرى بيده نفعا ولا ضرا لاحد دون الله تعالى وانه لو توجه الخلق كلهم اليه فسلكهم وأرشدهم وانتفعوا به لا يشهد له نسبة في هدايتهم قال الله سبحانه وتعالى انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء وعلامة ذلك أن لا يرى له رفع منزلة على أحد من آحاد الناس المجتمعين عليه وكيف يليق ذلك به ولا هو شيخ الابهم ولذلك لو خرج في سوق لا يعرفه فيه أحد ونادى باعلى صوته أنا شيخ من الأولياء لا يلتفت أحد اليه ويسخرون به واذا خرج والفقراء ماشون قدامه وو راءه مطرقين رؤسهم قال الخلق هذا شيخ من الصالحين ولو لم يعرفه أحد لان هيئة المشيخة قد حصلت باجتماع التلامذة حوله واعلم انهم ربما كانوا أكثر عبادة منه لما دخل به من البلاء فانه طول نهاره مع الخلق مضيع لحقوق الله سبحانه وتعالى وان اشتغل بذكر أو ورد فهم ملازمون له فيه وما زاد على ذلك يقضونه به فهم أحسن حالا منه وأقل آفات ولكن غالب الخلق انما يعظم المشايخ بالتقليد وانتشار الصيت ولما علم الفقراء القاصرون من الخلق ذلك اجتهدوا في أول أمرهم حتى تحصل لهم مرتبة المشيخة وكثرة المعتقدين فلما حصلت لهم تركوا العمل والصوم والسهر والصمت والورع وأوهموا الخلق انهم لا يغفلون عن الله تعالى طرفة عين وان الأعمال الظاهرة انما هي للمبتدئين فطول نهارهم يلغون مع الخلق ويضحكون وتلامذتهم طول نهارهم يذكرون ويقرؤن فافهم ومن علامة عدم رؤية نفسه على آحاد الفقراء أيضا أن لا يتغير منه شعرة لو أعرض عنه تلامذته أجمعهم واجتمعوا بشخص آخر من أهل الخير من أقرانه فان تغير فهو منازع للربوبية ولا يخفى حاله لانه يطلب أن يكون شريكا لله تعالى في تعظيم الخلق له ولو كان صادقا في العبودية لما فرق بين هداية الخلق على يديه وبين هدايتهم على يد غيره لأن الله سبحانه وتعالى هو الفاعل وحده على يد من يشاء من عباده فافهم واعلم أن من هذا حاله لا ينبغي له أن يتصدر لطريق المشيخة والتسليك لأن عليه بقية من علاج نفسه ودسائسها وقد قال سيدي أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه احذر أن يكون ابليس أعلى منك في الأدب مع الله تعالى قيل وكيف ذلك فقال لانه لم ينازع الله تعالى في وصف من أوصافه قط وقال انى أخاف الله رب العالمين وغاية أمره انه خالف الأمر فاستحق اللعنة والطرد ومخالفة الأمر أهون من طلب العبد أن يكون شريكا لله عز وجل فيما يستحقه على عباده انتهى والموقع للعبد في هذه المصائب حب الرياسة ومبادرة التصدر لهذا الباب قبل تأهله له وقد كان أهل العصر الخالي رضي الله تعالى عنهم لا يتصدر أحد منهم لهذا الباب الا بعد رسوخه وتمكنه في مقام البقاء وليس بعده مقام الا القطبية لانه حينئذ يصدق عليه في حديث فبي يسمع وبي يبصر وبي ينطق الحديث فلا ينطق حتى ينطق كما كان حال سيدي الشيخ عبد القادر الجيلي رضي الله عنه فيأمن حينئذ من الدعوى ويسدد ويحفظ في أقواله وأفعاله ومن ادعى وصوله الى هذه الدرجة فلا ننكر عليه بل نكل أمره الى الله تعالى فان يك كاذبا فعليه كذبه وان يك صادقا كما يلزم من مقامه الأدب ومواهب الله سبحانه وتعالى لا تحصر على عباده وظهور الكرامات ليست بشرط في الولاية انما يشترط امتثال أوامر الله تعالى واجتناب نواهيه فيكون أمره مضبوطا على الكتاب والسنة فمن كان كذلك فالقرآن شاهد بولايته وان لم يعتقد فيه أحد ولا كان له أتباع ولا مريدون اذا علمت جميع ما تقدم فاحذر أن ترى لك عزة على المريدين الذين يجتمعون بك وتقول في نفسك هم محتاجون الي ولست محتاجا اليهم في تعليم شئ لان هذا جهل وهو دليل على انك لم تذق مقام الفقر حقه وانك مستدرج في طريق الشيطان فلا يصلح منك التربية لأحد لانك تشهد فقر المريد اليك وهذا يحجبك عن فقرك اليه بل حالا لأن حالك هذا لا يعطيك الا الغناء بالله تعالى وذلك يطلب العزة ضرورة فافهم اما المحققون الراسخون اذا رأوا المريدين يفتقرون اليهم فيما عندهم من الله تعالى شكروا الله تعالى على ذلك حيث ألزم الله تعالى بهم فقراء اليهم ينبهونهم بصفة فقرهم اليهم على فقرهم الى الله تعالى فانه ربما لو لم يظهر صفة فقرهم اليهم لنسوا فقرهم الى الله تعالى فالمحققون يرون حق المريد اليهم أعظم من حقهم عليه لأنه شيخهم بالحال وهم مشايخه بالقول

والتربية فتأمل هذا المحل فانه من النفائس والله يتولى هداك * ومن شأنه أن لا يتغير بشئ برز في الكون لأن
الفقير لا نفس له بقوة قربه من الحق فهو مع سيده لا يفارق مراقبته ولا يبغي به بدلا ومن هذا شأنه فهو ملازم
للادب مع كل شئ لانه يشهد انه ما من دابة الا والحق سبحانه وتعالى آخذ بناصيتها وما يتحرك ذرة الا باذنه هذا
مشهد أهل القرب وقد قال الجنيد رضي الله عنه لي منذ كذا وكذا لم تستبشع نفسي شيأ مما وقع في الكون لأني
علمت ان الدنيا بنيت على ما تكرهه النفس من الاكدار والمصائب فكل شئ ورد على منها كان على الاصل
فيها وكل شئ ورد على فيها من ضد ذلك من الأمور المحبوبة للنفس كان على خلاف الأصل فاشكر الله تعالى
عليه فاريد ان أقلب الوجود عن أصله الذي خلق عليه لأحلى ولا يتلقاني الا بما أحب هذا جهل وقال القطب
الرباني سيدي الشيخ أحمد الرفاعي رضي الله عنه لو ان الخلق فريقان فريق عن يميني يبخرني بالند وفريق عن
يساري يقرض لحمي بالمقاريض ما نقص هؤلاء ولا زاد هؤلاء عن كونهم مظاهر للاقدار فاعلم ذلك واسلك طريقهم
ان كنت تريد اللحوق بهم * ومن شأنه ان لا يتصدى لباب التسليك والمشيخة الا أن يكون يعرف تلامذته من يوم
ألست بربكم هكذا قال سهل بن عبد الله التستري رضي الله عنه أعرف تلامذتي من ذلك اليوم وأعرف من يفتح
له على يدي ممن لا يفتح له وأعرف من كان عن يميني ومن كان عن شمالي اذا علمت ذلك فلمن هذا قدمه ان يمنع
تلامذته من زيارة غيره من المشايخ لان كشف المتمكنين قبل ان يحرم ويمحو الله ما يشاء ويثبت وأما من ليس له
هذا القدم فليس له ان يحجر واسعا على الخلق لأجل قيام ناموسه حتى ينسب التلامذة اليه دون غيره والله غالب
على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون فما قسم للعبد من انتفاع الناس به على يديه لابد من وقوعه فاذا جاء
أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ولم تخرج نفس من الدنيا حتى تستوفي ما قسم لها فيها والموقع للقاصر
في ذلك دعوى الكمال وانهم عارفون وهذا غلط منهم لأن من عرف الله تعالى لا يخفى عليه أمر تلامذته فمنع
مثل هؤلاء عن زيارة غيرهم منع للخير بالجهل وان كان المانع هو الحق لا هم لو قسم لهم الاجتماع بغيره ووقع
فاوقات الاجتماع والافتراق بقدر معلوم فهم مؤاخذون بقصدهم ذلك ولا يكون الا ما يريد ولا يحمل القاصر ان
يتشبه بأكابر الأولياء الذين كانوا يمنعون تلامذتهم الذين علموا بالكشف الصحيح انهم لا ينتفعون الا على يديهم
ويظن أنه منهم ويمنع كمنعهم استنادا لما في رسائلهم من الأمر بذلك من غير ان يكشف له ذلك في حق من يمنعه
من الزيارة بخصوصه فافهموا واعلم ان شرط المسلك ان يعتمد في التسليك على ما يلقيه الحق في قلبه فيعطي كل
شخص من جلسائه ما يقبله استعداده وأما من يطالع كلام الصالحين ويلقيه لكل جليس على حد سواء فليس
بمسلك لانه لم يتكلم بذوقه انما تكلم بحكاية عن ما ذاقه غيره ومن هذا المحظ خص موسى عليه السلام من دون
الأنبياء بالمراجعة للنبي صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء في التخفيف عن الخمس صلاة الى الخمسين لأنه كان اذ ذاك
أعلم منه بهذه الأمور لذوقه في بني اسرائيل بما ابتلى به منهم فتكلم عن ذوق وخبرة اذا علمت ذلك فليس كلام
الجنيد وغيره سواء ناسب حال الجليس أو لم يناسبه ويقاربه التلميذ فيقول لاخوانه فاتكم اليوم كل حكاية تدهش
العقول فيظنون انهم سلكوا بسماع الكلام وهم لم يذوقوه ولان كلام الكمل انما يذوقه بعض الذوق من هو في
درجتهم اذ لا بعد اثبات في ذوق وقال شيخنا رضي الله عنه لو طالع الفقير من كتب القوم عدة رمل عالج في مدة عمر
نوح لا يصير صوفيا بمحض المطالعة حتى يلج الجمل في سم الخياط ومن لم يقذف الله تعالى في قلبه نورا يفرق به بين
الحق والباطل لا يصلح لهذا الباب يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا وسبب هذا كله ان
القاصرين لما اجتمعوا بأشياخهم زمانا ولم يفتح لهم بشئ واستطروا الاذن فلم يؤذن لهم خافوا أن تفوتهم المشيخة
وقصدهم الخير لكنهم قاصرون محتمون بآفات لا يخرج منها أحد في الغالب كما نعلمه مما سيأتي في الباب فجلسوا
يسلكون التلامذة القاصرين ويعمدون الى كتب المشايخ المتقدمين ورسائلهم فيختصرونها وينسبونها لهم
ويأمرون التلامذة بكتابتها وترجمة اسمهم عليها ويوهمونهم انها من كلامهم وكل غبي وغوي يقدر على هذا
الفعل وهم يظنون انهم يتكلمون بالعلم اللدني وذلك انما هو كلام استفادوه من رسالة القشيري أو عوارف
المعارف أو غيرهما والتلامذة ليس عندهم شئ منها ولو كانت عندهم لمنعوهم عن مطالعتها وقالوا يعثروا على

الكلام الذى كانوا يتكلمون به فى مقام اعتقادهم فيه لا خوف على التلامذة فرحم الله امرأ اذا عرف اعترف
ويقولون فى المثل ما هلك امرؤ عرف قدره وكل مسلك لا يكون يقدر على استنباط الاحكام والآداب من الكتاب
والسنة لو فقدت جميع الكتب النقلية فليس بسالك وقد تقدم ان العناء كالباذ كرنا فيه أسماء علوم الأولياء
فراجعه تعرف قدر الاولياء والسالكين وقد قال سيدى أبو السعود بن أبي العشائر رضى الله عنه من لم يكن كتابه قلبه
لا يصلح لشئ من هذا الباب واعلم ان العارفين يعلمون ان الحق فى التغيير والتحويل ليلا ونهارا لتجدد الشؤون
التى يظهرها الحق تعالى كل يوم لقوله تعالى كل يوم هو فى شأن فلذلك نهوا السالك أن يسلك من الكتب لأن
لكل زمان دولة ورجالا وكلام البشر بعضهم انما هو بحسب قابليتهم فى ذلك الآن فأى فائدة للتلامذة الآن
بذكر ما كان الجنيد أو أبو يزيد أو معروف أو غيرهم يقولونه لتلامذتهم لأن الأمراض تتجدد فى القلوب فى كل
زمان فلكل زمان لأهله أمراض غير أمراض أهل القرن الذى قبله بل قال شيخنا رضى الله عنه ان كل وقت له
مرض جديد بل كل نفس له حال غير الآخر كما يشاهد ذلك أهل الله تعالى وهى مرتبة الكمل من الرجال أصحاب
الانفاس رضى الله عنهم أجمعين فكانوا رضى الله عنهم يعطوا كل جليس حقه ويعرفون من يفتح لهم على يديهم
وكانوا يراعون تلامذتهم وهم فى الأصلاب كما وقع لشيخنا رضى الله عنه مع شيخه وكما وقع لسيدى الشيخ محمد بن
هارون مع سيدى الشيخ ابراهيم الدسوقى وكما وقع لسيدى أبى السعود بن أبى العشائر مع سيدى حاتم وكما وقع
لسيدى الشيخ محمد المغربى مع سيدى الشيخ عبد الرحيم القناوى رضى الله عنهم أجمعين فاعلم ذلك والله يتولى
هداك وهو يتولى الصالحين * ومن شأنه أن يحذر من الالفاظ التى ظاهرها الدعوى والتزكية للنفس كقوله نحن
ما بقينا ناس الا من حين اجتمعنا بالشيخ الفلانى وكقوله الكشف انما يقع للناقصين والكاملون لا كشف لهم
موهما للحاضرين أنه كامل حيث لم يقع له كشف على شئ أو كشف ولم يصادف الواقع كما يقع ذلك كثيرا
للقاصرين لأنهم يكشف لهم عن الأمر فيتكلمون به فيقع بخلاف ذلك وهم صادقون فيما أخبروا به لان المحو
والاثبات واقع ليلا ونهارا والحق لا تقييد عليه فيما يفعل فهم يظنون أن الأمر باق على ما شهدوه رضى الله عنهم
أجمعين فلهذا كان من الأدب السكوت على ما يكشف ولا يبرزونه الى الوجود حتى يبرزه الله تعالى فان وافق
كان والا كانوا قد لزموا الأدب مع الله تعالى وبالجملة فأهل الكشف عزيزون فى الوجود على أن العارفين أجمعوا
على أنه من لم يكن ما كله حلالا لا يعرف يفرق بين الخواطر وهذا عزيز فكيف بالكشف فافهم ذلك * ومن شأنه
أن يحب من يحسن اليه لله تعالى لا لاحسانه وهذا لا يدرك الا ذوقا لان تمييز ذلك عسر لا سيما والقلوب جبلت
على حب من أحسن اليها فافهم ذلك * ومن شأنه ان لا يظهر عند زيارة من يستحى منه من المشايخ وغيرهم ممن
يعتقده ناموسا واطراقا زائدا على حالته التى يكون عليها الا اذا خلا بنفسه لان المزور ان كان من الفقراء فانما ينظر
الى الباطن لا الى الجوارح الظاهرة والمؤمن ينظر بنور الله وان كان من أبناء الدنيا فليحذر الزائر من مقت
الله له لريائه وقد قال الفضيل بن عياض رضى الله عنه ولو دخل على شخص فسويت لحيتى بيدى لدخوله لخفت
أن أكتب عند الله تعالى فى جريدة المنافقين فافهم ذلك ومن هذا القبيل ما اذا دخل عليه من يعتقد فيه الصلاح
وهو على حالة يخرج عند المعتقد فى اعتقاده فيه كما اذا دخل عليه وهو يمزح أو يكثر من الضحك فينبغى أن لا يتغير
عن الحالة التى يكون عليها الاجل الداخل بل يستمر على الضحك أو المزح الذى كان عليه أو يفعله لو لم يدخل
المعتقد فيه فان ذلك خرق لنظام النفس الذميم وهو أهون من حصول النفاق والرياء الحاصل بترك المزح
والضحك * ومن شأنه أن لا يكون عنده طلب لحالة يعظم بها فى عيون الخلق ولا يعظم بها عند الله تعالى كلبس
الفرجيات الصوف الرفيعة والعمامة والعذبة لان ذلك من قلة المعرفة بالله تعالى ولذلك ستر الكمل مقامهم عن
الخلق لحكمة الموطن الذى هم فيه وذلك من عناية الله تعالى بهم فلابد بدون الظهور فى محل نوزع فيه سيدهم
فى الالوهية وهذا من كمال تحققهم به لان سيدهم استتر فى الموطن الذى هم فيه فلذلك جروا مع العامة على ما هى
عليه من ظاهر الطاعات التى لم تجر العادة فى العرف ان يسموا بها من أهل الطاعات وستروا الكرامات وخرق
العوائد فلا يعرفهم الا من كان فى مقامهم فهم ضنائن الله تعالى وعرائسه فلا يشهدون سواه ولا ينصرم هواه اليهم

وأين هؤلاء ممن يطلب الشهرة فهو يتزين ويتحلى ويتلو أسماء يستخدم بها الجان في صرف وجوه الخلق اليه
دون غيره وذلك لا يزيده من الله الا بعدا ومقتا * ومن شأنه أن يخفض جناحه للمؤمنين امتثالا لأمر الله تعالى لا لعلة
من العلل كنسبته الى حسن الخلق وتهذيبه وانه تخلق بأخلاق النبي صلى الله عليه وسلم وانه ماتت نفسه وانه أهل
لأن يزن المريدين لانه فرغ من علاج نفسه وأخلاقها وغير ذلك فاعلم ذلك فلا ينبغي له أن يتكلم بالكلام الحلو
لتلامذته الا لمصلحتهم فقط لا خوفا أن ينفروا من حوله لاسيما ان كانوا يجرون اليه نفعا من كسوته ونفقته وغير
ذلك لان الفقير الآن دائما أكله على الناس الا من يأكل من عمل يده وهذا قليل فغالب ما بأيدي الفقراء الآن
صدقات الناس وأوساخهم وهدايا هم نسأل الله العافية فالواجب على الفقير أن يكون دائرا مع الحق واتباعه
لا مع حظ نفسه فلا يرغب التلامذة في طريق الصالحين الا محبة لله تعالى ورسوله وعلامة ذلك أن يرغب التلميذ
اذا شاوره أن يأخذ عن أحد من أقرانه كما يرغبه اذا أراد أن يأخذ عنه فكثيرا ما يقع من القاصرين لما يشاورهم
أحد في الأخذ عن أحد من أقرانهم أن يقولوا له أنت بخير لا تحتاج الى شيخ لانك تصلي الفرض وتتلو القرآن
وتشتغل بالعلم وايش المقصود بخلاف ما اذا أراد أن يأخذ عنهم ويقولون له الطريق أمراضها كثير ولا بد للعبد
من شيخ ويبينوا له أن فيه كل عيب فافهم ذلك ان ربك لبالمرصاد * ومن شأنه أن لا يفرح بزيارة الناس له في
وقت حربه وأوراده ومجاذلة التي فيها قوة للنفس بل يجب عليه أن يحب أن لا يقام له تعظيم في قلب أحد والخمول
نعمة وكل أحد يأباه وقد قال شيخنا رضي الله عنه في رسالته وأسرع الى زيارة اخوانك قبل أن يأتوا اليك فافهم ذلك
ومن شأنه أن يستر حالته وعورته الباطنة ما أمكن وليحذر من استلذاذه بهيئة الخشوع وحصول الرعدة وضم
الأكتاف واطراق الرأس الا أن يكون مغلوبا وليرد ذلك ما استطاع فان حكم من ظهر منه شيء من ذلك مع
القدرة على دفعه حكم من جلس في بيت الخلاء مكشوف العورة مع قدرته على رد الباب فكل من يراه يلعنه وقد
رأى عمر بن الخطاب رضي الله عنه شخصا قد ضم أكتافه في الصلاة فضربه بالدرة وقال له ويحك الخشوع انما
هو في القلب فاحذر ذلك واحذر اذا رأيت هذه الحالة في شخص ان تحمله على الرياء والله يتولى هداك وهو يتولى
الصالحين * ومن شأنه أن ينظر في مصالح اخوانه ويأمرهم بالحرفة وعمل اليد ولا يعطلهم بالاخذ منه في الولائم
وغيرها ولو طلبوا ذلك لأنهم قاصرون عما يصلحهم وكل ساعة تمر على العبد وهو في حرفته التي يعود منها نفع عليه
وعلى عياله أفضل من حضور ألف وليمة معه لا يتعين عليهم حضورها وكذلك لا ينبغي له أن يعاهدهم على حضور
مجلسه لأن ذلك قلة أدب وهو دليل على جهله لأن أوقات الاجتماع والافتراق مقسومة فالأدب ترك المعاهدة
وما سبق لا بد منه وقد قال العارفون رضي الله عنهم من لا ينفع لحظه لا ينفع قوله فالعارف من يسلك الناس وهم
في حرفهم وقد رأيت في عالم الخيال طائفة من الفقراء وهم متجردون عن أعمالهم الصالحة وهي عنهم بعيدة
كقطع الجبال وليس معهم الا سبحاتهم فقلت لهم ما بال أعمالكم الصالحة عنكم ناحية وقالوا أخذها أصحاب
اللقيمات التي كنا نأكلها في دار الدنيا لأن كل طاعة تقوينا عليها بلقمهم فثواب تلك القوة لهم انتهى فلذلك
حث الشارع على العمل باليد ولم يزل العارفون رضي الله عنهم يحثون على ذلك وعلى الورع عن الأكل من مال
غيرهم ما أمكن وقد كان جدي علي الشعراوي رضي الله عنه من أهل الورع حتى كان لا يأكل من لبن الجاموس
لانه لا ينضبط في الغالب على الاكل من مال مالكه وكذلك كان لا يأكل طير الحمام الذي يلتقط البذر من الزرع
وكان رضي الله عنه اذا طحن يرفع الحجر وينفضه من الدقيق الذي يكون فيه ويغسله ثم يطحن وكان توقف آخر
أمره في أكل عسل النحل لأكله من أزهار الناس المملوكة وقد جاء رجل الى الحسن البصري رضي الله عنه
ليعلمه الورع فقال يا أخي انا لا أصلح لأن يؤخذ عني ورع لاني أكلت من أموال السلاطين ولكن امض الى
فلان في الكوفة في مزرعته وله بقرة يرعاها فيها وقد جعل لها فيها بئرا تشرب منها وتبنا تأكله فمضى اليه فوجده
على الحالة التي وصفها له فقال له ما حاجتك فقال جئتك تعلمني الورع فقال من أرسلك قال حسن البصري فقال
غفر الله تعالى لأخي الحسن كان عهده بشيء وتغير الحال فقال وما سببه فقال اشتغلت بصلاتي عن البقرة
فخرجت عن مزرعتي الى مزرعة جاري ورجعت وفي فوائمها طين فاختلط على طيني فلا أصلح لأن يؤخذ عني

وروع امض الى غيرى فهكذا كان الفقراء رضى الله عنهم فافهم ذلك وكل شئ فاتك من طعام الناس ومالهم فاحمد
الله سبحانه وتعالى على فواته ولا تحزن على شئ فاتك والله يتولى هداك وهو يتولى الصالحين * ومن شأنه أن
يكون ناصحا لنفسه ولاخوانه من غير قصد ولا دعوى ورؤية نفس عليهم بشرط أن لا يعوقه ذلك عن علاج
أخلاقه ودسائسه فانهم يقولون يقبح على معلول تصدق تصف دواء للناس هذا من باب الزجر عن الغفلة عن عيوبه
والا فالأمر بالمعروف واجب على الشخص لغيره وان كان هو مرتكب ذلك الشئ الذى ينهى عنه فيأمر نفسه
وينهاها ويأمر غيره وينهاه فان اختل أحدهما لم يسقط الآخر فافهم ذلك * ومن شأنه اذا ابتلى بالتصدى لباب
التسليك قبل تأهيله له أنه ينبغى له أن يرى ان غير تلك الحالة التى هو عليها أولى دائما الا لاعمل نفسه اليها فيهلك
وذلك لضعفه عن تمييز حظ النفس من غيره فان فتح باب التلقين لكلمة التوحيد يرى ان تركه لذلك وتلقينه هو
كلمة التوحيد من غيره كان أولى وان كان ذلك مقدرا لانا نؤمن بالقدر ولا نحتج به وذلك لما نشاهد من قلة
جدواه وعدم بنائه على أصل صحيح لان شرط التلقين عند القوم أن لا يكون الامر به ماتت حظوظ نفسه
الدنيوية والأخروية وهذا شرط عندهم ولا يخفى ان التلقين الآن فى عرف العوام الذين لم يعلموا رتبة الشيخ المسلك
علامة على أن صاحبه ولى لله تعالى ولا يخفى ما فى ذلك من التعرض للآفات التى لم يسلم منها الا القليل فينبغى
لمن يلقن الناس ان يراه ابتلاء من الله تعالى ويلقن على سبيل التشبه بالمتشبهين بالمتشبهين بالمتشبهين
بالمتشبهين بالمتشبهين ست مرات ويسأل الله الاقالة من ذلك ويأخذ خواطر اخوانه أن يدعوا الله تعالى
بالخلاص من ذلك فذلك دليل على صدق كراهيته لهذا الباب وان اختلى واعتزل يرى ان ترك ذلك والخلطة
أولى وان كان يحصل له بها نفع لان لها أصلا عند بعض القوم لانهم يجدون فى الفرار من الخلق راحة لنفوسهم
وحرجا وضيقا فى مشاهدتهم ولو نظروا وجه الحق فيهم ما فروا منهم وكانوا يخلون بنفوسهم لان من شهد ان الله
تعالى مع كل شئ كيف يفر منه والى محل اغباه ومن يكون مع الخلق بجسده ومع الحق بباطنه واحذر من
الاحتجاج على مشروعية الخلوة باختلائه صلى الله عليه وسلم بغار حراء فانه قلة أدب لان تلك الأمور لا يذوقها غير
كمل الورثة الخارجين عن الهوى التابعين على القدم فافهم واعلم أن طريق السلوك بالخلوة والرياضة طريق
جماعة من المشايخ وليست بطريق أصحابنا رضى الله عنهم اذهم راضون عن الله تعالى فى كل حالة أجراها عليهم
وليس لهم نظر ولا تطلع الى مقام ولا حال فى الدنيا والآخرة ليتربصوا لحصوله فافهم واعلم ان كان قصد بالخلوة أن
لا يرى الاغيار فالاغيار مع من لازم الخلوة لانه يرى نفسه والحيطان والسقف والفرش والابريق وما يأكل
وما يشرب فالذى فر منه ملازمه لم يفارقه فليس هو فى خلوة ولأن من كان شيخا كاملا لا يخاف من تفرقة عن
الحق برؤية الخلق حتى يختلى للتقوى على مخالطة الخلق فدعواه بخلافها على أن غالب هؤلاء المدعين بنفوسهم
لا بالله تعالى لان الخلوة بالله تعالى لا تكون فى كل زمان الا لواحد وهو القطب الغوث لانه الذى ينفرد به الحق
ويخلو به دون خلقه فاذا فارق هيكله المنور انفرد بشخص آخر لا ينفرد بشخصين فى زمان واحد وهذه الخلوة
من علم الأسرار التى لا تذاع وورد بها الكتاب والسنة ولا يشعر بها الا أهل الله تعالى وخاصته قاله شيخنا رضى الله
عنه وأرضاه واعلم انه ليس فى هذا الذى قررناه انكار على من يختلى لشروعه عند بعض القوم وانما المراد
أنه ينبغى أن لا يركن الى شئ من أحواله لان فى ذلك هلاكه وقد يحجب أحد من بلاد بعيدة أو موضع بعيد لحاجة
ضرورية فلا يتمكن من الوصول اليه وهذا من أقبح ما يترتب على الخلوة لان فيها قيام ناموس على الزائر اذا جاء
ووجد الشيخ مختليا يكاد أن يحرج للشيخ وكفى بهذا مصيبة عند أهل الله تعالى بخلاف ما اذا جاءه فوجده
يمزح ويضحك ولا ينبغى لمن ليست الخلوة طريقته أن ينكر على من يختلى لان كل أحد ملازم ما وجد قلبه عنده
فافهم وان ركب وجماعة يمشون حوله بحيث يتميز يرى أن تلك الحالة أولى لما لا يخفى ولانه صلى الله عليه
وسلم منع أبا هريرة رضى الله عنه أنه يمشى خلفه هكذا ينبغى له أن يحمل حال نفسه دائما وأما الانكار عليه من
غيره وحمله على أنه يحب الرياسة والشهرة فهو حرام عليه والواجب على كل مسلم أن يحمل حال أخيه المسلم على
محامل كثيرة ولا يعجز عن ذلك الا قليل التوفيق كما قاله النووى فى شرح المهذب فافهم ذلك وان أقبل الناس

عليه بالتعظيم والثناء وتقبيل الأيدي والأرجل يرى ان ذلك ابتلاء من الله تعالى بقلبه لا بلسانه وهكذا في جميع
أحواله التي ظاهرها الصلاح فيشهد أعماله دائما بغير الرياء والنفاق والمخالفة للسنة وان فعل صورة فعله صلى الله
عليه وسلم لأن الخلق قاصرون عن حقيقة الاقتداء به صلى الله عليه وسلم اذ لابد في عبادتهم صلاة كانت أو غيرها
من الخلل والنقص وهذا من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين وكان الفضيل بن عياض رضي الله عنه
يقول من أراد أن ينظر الى مرآى فلينظر الي وقال معروف الكرخي رضي الله عنه أشتهي أن أموت في بلد غير
بغداد فقيل ولم ذلك فقال خوفا أن لا يقبلني قبري فأفتضح ويسيء الناس ظنهم بأمثالي رضي الله تعالى عنهم
وكذلك طلب جماعة من الفقراء كرامة من سيدي الشيخ عبد العزيز الديريني رضي الله عنه وهم مسافرون وقد
أقبلوا على بلد فقالوا يا سيدنا أرنا ذلك قبل طلوع البلد فقال على الرأس فطلعوا الى البلد ولم يروا شيأ فسألوه ثانيا
فقال وأي كرامة أعظم من ان الله تعالى أمسك الأرض لنا حتى نمشي عليها ولم يخسفها بنا فانظر يا أخي أحوال
العارفين والله يتولى هداك وهو يتولى الصالحين * ومن شأنه ان يقتدي بالنبي صلى الله عليه وسلم في أصل الافعال
الشاقة على النفس من قيام الليل واحتمال الاذى بغير حق ونحو ذلك ولا يقتصر على الاشياء الخفيفة على النفس
كالعذبة ولبس الصوف والسواك ونحو ذلك فمثال من يقتصر على ما ذكرنا من الأمور الحقيقية الظاهرة وهو
يرتكب في الباطن ما يستقبح مثال من تضمخ يوم الجمعة بغائط كلب في جميع بدنه وثيابه فلما خرج الى الجمعة رش
عليه بعض ماورد فتبخر فقال له بعض الناصحين اترك هذا التطيب ونظف بدنك وثوبك فانه أهم فقال له لا أترك
التطيب ولا أفعل الا السنة وأهمل نظافة بدنه وثوبه من النجاسة فأي فائدة للتطيب المذكور مع قذارة ما تحته
وقبح رائحته فهكذا انظار العارفين وكل من فتح الله تعالى بصيرته وانكشف له ما فيه من الخبائث اشتغل عن تزيين
الظاهر بأمور يستغرق العمر في علاجها وكان الفضيل بن عياض رضي الله عنه يبكي ويقول من أراد أن ينظر
الى مرآى فلينظر الي فرضي الله عنه فاين هذا ممن يشهد نفسه بالصلاح بالزي والمنطق وغير ذلك من مواسم
الصالحين اذا علمت ذلك فابدأ بالأمور المهلكة فنظف باطنك منها ثم بعد ذلك افعل الأخف فمن ذلك محبة الدينار
والدرهم وسائر أمتعة الدنيا وقد كان صلى الله عليه وسلم لا يبيت على معلوم وكان صلى الله عليه وسلم يخرج الى
السوق فيأتي بالملح واللحم في حجره وفي يده ولا يمكن أحدا من حمله ويقول صاحب المتاع أحق بحمله وغير ذلك من
اخلاقه صلى الله عليه وسلم واخلاق أصحابه رضي الله عنهم أجمعين واحذر من خوف سقوط حرمته اذا خرج الى
السوق وخالط السوقة فان هذا رعونة نفس ورؤية نفسه انه خير منهم وذلك خطأ منه فان السوقة على خير كبير
وهم أكثر نفعا للخلق منه ومن تأمل الطباخين والزياتين وغيرهم من الخبازين وجد نفسه لا يجيء خادما لهم
لانهم طول نهارهم في منافع الخلق وهو أكثر أوقاته فارغ ليس بيده حرفة يتعدى نفعها الى أحد ولكن كل شئ يبقى
بالقلوب اذا علمت ذلك فينبغي له خرق ناموسه ونظامه ولا يتقيد بحالة واحدة كالاعتناء بالعمامة الرفيعة والصوف
الرفيع ونحوهما بل يكون على اليسير في جميع أموره فيلبس ما وجد ويأكل ما وجد ويخبز الخبز ويكنس
البيت ويطبخ الطعام ويخدم الارامل والايتام ويعلم الناس أمر دينهم ويتكلم مع العوام كانه منهم ولا يتميز عنهم بشئ
فان ضد هذه الامور يجعل له نظاما ورياسة ولذلك يطلب أن يساعد صاحب الحاجة فلا يمكنه من ذلك ويقول
كيف أستخدم الشيخ ولم يعلموا أن الشيخ أحق بالخدمة من غيره لان نفسه تهذبت فهو أسرع للانقياد للخدمة
من غيره لكن لما رأوا رياسته ونظامه لا يسهل عليه خرقهما تركوا استخدامه لما قام في قلوبهم أنه يكره ذلك في
الباطن وقد كان الشيخ جلال الدين المحلي عمدة المحققين عصره رضي الله عنه يستخدمونه العجائز وأهل حارته في
خبز الخبز وشراء الزيت الحار ونحوهما من السوق على الدوام لما قام عندهم من عدم نفسه واحذر من نصرة
نفسه وقوله انما يفعل ذلك لمصلحة الخلق والفقراء لانه ينبغي للشيخ ان لا يكاثر تلامذته بالمجالسة لانها تذهب حرمته
من قلوبهم فلا ينتفعون به فيجعل نفسه أولا انه شيخ وثانيا ان بيده هداية الخلق وهذا كله اذا وقع من أحد فهو
دليل على ضعفه أو سذاجته فقد كان صلى الله عليه وسلم يأكل الطعام ويمشي في الاسواق وأنزل عليه ما على
الرسول الا البلاغ وقوله ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين وغير ذلك من الآيات ويتقدير أنه

صلى الله عليه وسلم كان يفعل بعض الاوقات أضداد هذه الأمور السابقة فهو معصوم من دسائس النفوس ولو
أصلح صلى الله عليه وسلم طيات عمامته في جب الماء ولبس الثياب الحسنة لما قدم عليه بعض الوفود وجلس
على مصطبة من طين لما سأله الصحابة رضي الله عنهم ان يتميز عنهم بشئ ليعرف من بينهم فيسأل عن أحكام الدين
فكان تميزه صلى الله عليه وسلم محض مصلحة للمسلمين فمن تبعه في هذا الفعل فليراع الصدق
في ذلك واعلم أن الفقير الضعيف لا يجوز له أن يتشبه بالأكابر الاقوياء فيهلك نفسه لعدم معرفته
بمداخل النفس والشيطان والهوى كمن يلبس الثياب النفيسة تشبها بسيدي علي بن وفاء وسيدي الشيخ
مدين رضي الله عنهما وغيرهما من كمل العارفين وأين الحال من الحال والمقام من المقام وكراماتهم أصدق
دليل على أنهم ماتت أهويتهم وحظوظهم لأنه محال أن يعطى الولي كرامة من كشف أو غيره وبقي له حظ
للنفس في الدنيا والآخرة ولسيدي الشيخ مدين رضي الله عنه ان منارة زاويته مالت بعد الفراغ منها فأراد الحكام
انه يشوش على الذي بناها فخرج الشيخ رضي الله عنه وجعل ظهره في المنارة حتى قعدت على أصلها بلا ميل
وقد وقع أن بعض تلامذته وقع منه في البحر صرة فيها دراهم أيام النيل فجاء الى الشيخ وأعلمه بها فوضع الشيخ يده
تحت السجادة التي تحته وأخرج الصرة بحزامها وقد وقع أن شخصا تعرض لبنت تلميذه في برية من بلاد العجم
والشيخ كان داخل الخلاء بمصر فعجزت البنت عن رد الشخص عن نفسها فضربه الشيخ بفردة القبقاب فجاءت
في عنقه فارتمى وأخذت البنت فردة القبقاب وجاءت بها على والدها فعرف أنها من قبقاب الشيخ فلما جاء
الى مصر جاء بها معه وغير ذلك مما هو مشهور وأما الشاذلية فمنهم الأقطاب وحالهم مشهور رضي الله عنهم
فمثل هؤلاء يلبسوا كيف شاؤا ولا يضرهم أما الضعيف الذي أضاء له فتيلة ضعيفة فأدنى هوى يطفيها فافهم واعلم
انه لا ينبغي الاعتراض على من يقول أنا قوي ومثل هذا لا يضرني فيتكل أمره الى الله تعالى فانه ليس مباحا وكونه
ذلك يدخله أمور محرمة باطنة وليس ذلك الينا والتسليم أسلم انما يكون الانكار على فاعل المحرمات الظاهرة
ومن علامات صدقه في دعوى القوة وان لبس الثياب النفيسة ونحوها لا يضره أن لا يجد في نفسه استحياشا من
الخلق اذا خرج بهيئة مزرية بحضرة من لا يعتقده ومتى وجد في نفسه استحياشا فهو دليل على بقاء الهوى في
النفس وان ذلك اللبس لهواها لا لعلة أخرى اما خروجه بالهيئة المزرية بحضرة من يعتقده فلا استحياش فيه لأنه
يعلم منه زيادة الاعتقاد لحملهم له على انه في حال واعلم انه لا بأس بلبس الثياب الحسنة لمن ليس له حالة يعظم بها
عند الناس سواء كانت دنيوية أو أخروية تخوفا ان يزدريه أحد فيقع في الاثم وهو كثير الوقوع في طائفة الفقراء
الآن فان غالبهم ليس في باطنهم نور يفرق به فيعظم صاحب الثياب الحسنة ولا يعبأ بغيره وان كان من الاولياء
فاذا كان الفقراء كذلك فأبناء الدنيا من باب أولى اما من له حالة يعظم بها عند الناس كصلاح وزهد فلا يزداد
الناس فيه بلبس الثياب المزرية الا اعتقادا فافهم ذلك والله يتولى هداك وهو يتولى الصالحين *ومن شأنه
ان لا يتكدر ممن بلغه عنه أنه يخرج عن رتبة الصالحين ويقول فلان لم يذق شيأ من طريق الصالحين لانه ان كان
صالحا عند الله تعالى لا يخرج بكلام هذا المنكر من صلاحه عنده وان كان غير صالح فقد صدق فلا ينبغي التغيظ
عليه بوجه ولا ينبغي له أن يرسل للمنكر الكلام الحلو ليحسن اعتقاده فيه فان هذا الباب يطول وان رضي واحد
سخط عليه عشرة لان الفقير لا يلتفت الى سوى الحق تعالى وان تعصب لنفسه تعب ومثال من يفرح بمدح
الناس له بالصلاح وهو خال عنه مثال من بلغه عن تلامذته انه يقول ان شيخي يخرج منه عند قضاء الحاجة رائحة
كرائحة المسك فيفرح بذلك ويقول الحمد لله رب العالمين وهو نفسه يعرف قذارة ما يخرج منه ونتنه حتى يسد
هو أنفه وأي غرور فوق هذا فكيف يكون مسكا وهو لا يقدر على احتمال الأذى من آحاد الخلق فافهم ذلك
*ومن شأنه أن يراعي الأدب ويرى أنه أضعف خلق الله تعالى فليحذر من قوله للتلميذ اذا وسوس لك الشيطان
وأنت في الذكر في خلوتك فاصرخ باسمي فانه يهرب فان هذا دليل على أنه يرى نفسه من الاولياء العارفين
ويظن أنه منهم والظن أكذب الحديث واذا كان الشيطان يلقيه ويصرعه هو كيف يهرب اذا صرخ تلميذه باسمه
ويقولون في المثل اذا كان الحلو ضرب مقارع فكيف بالحامض وكان الاولى بالأدب أن يقول له اذا جاءك

الشيطان

الشيطان اذكر اسم الله تعالى أو اسم النبي صلى الله عليه وسلم أو اسم عمر بن الخطاب رضي الله عنه لان الشيطان
كان يفر من ظله واذا كان الشيطان يفر اذا ذكر اسم الله تعالى كيف يفر اذا ذكر أحد من الاغيار فافهم
وروى الامام أحمد بن حنبل أنه صلى الله عليه وسلم ليلة كاد به الجن جاءه شيطان وبيده شعلة من نار يريد
يحرق بها وجه النبي صلى الله عليه وسلم فجاءه جبريل فعلمه كلمات فقالها فانطفأت النار اهـ فانظر ما أعطاه
الله من التسلط على بني آدم وروى البخاري رضي الله عنه في باب صفة ابليس وجنوده عن أبي هريرة رضي
الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه صلى صلاة فقال ان الشيطان عرض لي فشد على يقطع الصلاة فأمكنني
الله منه اهـ فليتأمل الشيخ ذلك والسلام وان ادعى انه انما قال للتلميذ أصرخ باسمي انه جاهل بمقام غيره فنقول
كان الأدب ان تعلمه الادب في حق من هو أعلى منك رتبة لانه أقرب الى مقصودك من اصلاح التلميذ ولو
شهدت أن الحق تعالى هو الفاعل في ذلك بواسطة الاعتقاد في الواسطة لتساوي عندك واسطتك وواسطة
غيرك وقد حبب لي أن أذكر لك مناظرة الامام حجة الله على المحققين من كل الأولياء سهل بن عبد الله التستري
مع ابليس لتعلم قوة تسليطه على الخلق ولولا ذلك ما حذرنا الله منه قال سهل رضي الله عنه لقيت ابليس فعرفته
وعرف مني أني عرفته فوقعت بيننا مناظرة فقال لي وقلت له وعلا بيننا الكلام وطال النزاع بحيث ان وقف
ووقفت وحار وحرت فكان من آخر ما قال لي يا سهل ان الله تعالى يقول ورحمتي وسعت كل شئ فعم ولا يخفى
عليك انى شئ بلا شك لان لفظه كل تقتضي العموم والاحاطة وشئ أنكر النكرات فقد وسعتني رحمته قال
سهل رضي الله عنه فوالله لقد أخرسني وحيرني بلطفه ومثل هذه الآية فانه فهم منها مالم أفهم وعلم منها مالم أعلم
فبقيت حائرا متفكرا وأخذت أتلو الآية في نفسي فلما جئت فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم
بآياتنا يؤمنون سررت وتخيلت اني ظفرت بحجة وظهرت عليه بما يقصمه وقلت يا ملعون ان الله تعالى
قيدها بنعوت مخصوصة يخرجها من ذلك العموم فقال الله تعالى فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة الآية
فتبسم ابليس وقال يا سهل ما كنت أظن أن يبلغ بك الجهل هذا المبلغ ولا ظننت انك هنا ألست تعلم يا سهل
ان التقييد صفتك لا صفته قال سهل رضي الله عنه فوالله لقد أخرسني ورجعت الى نفسي وغصصت بريقي وأقام
الماء في حلقي ووالله ما وجدت جوابا ولا سددت في وجهه بابا وعلمت أنه طمع في مطمع عند وانصرفت
وانصرف قال سهل رضي الله عنه فهممت أن آخذ عن ابليس طريق المعرفة وان لم ينتفع هو بها القول بعضهم
رضي الله عنهم انظر ما قال ولا تنظر الى من قال فتأمل هذه المناظرة تفز بما فيها والله يتولى هداك وهو يتولى
الصالحين* ومن شأنه ما دام تلميذا أن يتأدب مع شيخه ويعتقد فيه ما أمكن فان ذلك نافعه ان شاء الله تعالى وأحذر
أن يعتقد في شيخه انه أكمل المشايخ الموجودين الآن فان في ذلك قلة أدب مع القطب وأرباب النوبة وغيرهم
من كمل الأولياء مع ما قد يكون في ذلك من الكذب انه حدث بالظن وهو أكذب الحديث فلا يكون التفضيل
الا لمن علم ذلك باعلام الحق لا لغيره فافهم وقد قال الكامل المحقق الفاضل المدقق الشيخ محيي الدين رضي الله عنه
ان على قدم كل نبي وليا وارثا له فما زاد فلا بد أن يكون في كل عصر مائة ألف ولي وأربعة وعشرون ألف ولي
على عدد الأنبياء ويزيدون ولا ينقصون فان زادوا فسم الله علم ذلك النبي على من ورثه فاذا كان الأمر على هذا
فكيف يفاضل ولم يحط بالجميع ولم يعرفهم فافهم وتأمل قول الامام أبي حنيفة رضي الله عنه لما سئل ايما أفضل
الاسود أم علقمة فقال رضي الله عنه والله ما نحن بأهل أن نذكرهم فكيف نفاضل بينهم فانظر أدبه رضي الله
عنه في الامساك عن الخوض بلا علم وانظر احتقاره نفسه واسلك طريقه والله يتولى هداك وهو يتولى
الصالحين ومن شأنه ان يلزم الأدب مع القطب وغيره ولا يقول نحن خارجون عن دائرة القطب رضي الله عنه
فان ذلك سوء أدب ومن أين له ذلك وهو لم يعرف القطب ولم يجتمع به فان أعطاه الله تعالى الكشف عن ذلك
جاز له والادب خلافه ولا يحل التكلم في ذلك بالتقليد كمن سمع مشايخه يقولون ذلك فقلدهم في هذا القول
وبالجملة فمن لم يعرف الاولياء وأرباب النوبة والقطب فهو معذور لأنه لا يعرف الأدب معهم الا من عرفهم
فكيف يدعي أنه من الاولياء وهو لم يعرف أحدا منهم فان أهل حرفة لا بد أن تعرف بعض أهل تلك الحرفة

وكيف يدعي أنه من أهل الحضرة وهو لم يعرف أحدا من أهلها فافهم ذلك * ومن شأنه أن لا يسأل ولا يرد ولا يدخر
هذه طريقة الشاذلية وهي طريقتنا الآن فيما نعلم حاله ونرجو أن تدوم علينا نعمة الترقي ان شاء الله تعالى
* ومن شأنه ان كل من تمشيخ عليه يقلده وان مد له يده ليقبلها فليقبل رجله ويكون دائما آخر شعرة في الذنب
لأن الضربة أول ما تقع في الرأس ويكون غاضا عن عيوب الناس فان نظره في عيوب الناس يحدث له عيوبا لم
تكن فيه قبل ذلك * ومن شأنه أن يفرح اذا ظهر شيخ آخر غيره به اهتدوا وانقلبت جماعته اليه ونكثوا عهده
لأنه قد كفاه المؤنة وصار متفرغا لعبادة الله تعالى لا يصرفه عنها شيء فمتى تكدر بذلك فهو محب للرياسة والشهرة
عند الناس ومن علامات حب الشهرة أيضا اذا أثنى على أحد من أقرانه بحضرته ينقبض ويصير على وجهه
كآبة لاسيما ان رفع منزلته عليه في الثناء بحضرة من يعتقده فعلم أن من يتخذ المشيخة حرفة يقع في أمور
مذمومة لا تحصى لأن أكله وشربه ونفقته منها فلذلك يلزمه الخضوع لمن يحسن اليه من الاغنياء وأرباب
الدولة ويحب اظهار الناموس حين يحضرون عنده ويستحلي مجيئهم اليه لاسيما في محافله ويحمل نظامه
ويخاف من تفرقتهم عنه خوفا أن يقطعوا عنه المدد من القمح والجبن والعسل ونحو ذلك مما يجتمع عليه الفقراء
لأن اجتماع الفقراء في الزاوية عند الفقير الذي لا حرفة له ولا الهم ويقول ملج الزاوية نحن في نعمة غارقون فيها
من فضل الله تعالى لا نعرف شيئا من أين ونسي أن سببها كونه من أهل الدين عند المعتقدين فانهم انما يبرونه
لأجل دينه وحسن سمته فأكل الدنيا بالدين من حيث لا يشعر وهو يظن أنه سالم من ذلك وقد قال الفضيل بن
عياض رضي الله عنه لأن آكل الدنيا بالطبل والمزمار أحب الي من أن آكلها بديني هذا لمن له دين وحالة حسنة
صالحة موافقة لحال المعتقدين فان كانوا يعطوه لأجل الصلاح وهو عار عنه فأكله ذلك حرام شديد التحريم فافهم
ذلك * ومن شأنه أن يرفع همته عما بأيدي أصحابه من الدنيا ويخفي حاجته عنهم ما أمكنه ايثارا التحمل المشقة عنهم
وقد كان صلى الله عليه وسلم يعصب الحجر على بطنه من الجوع وما كانوا يعرفون جوعه الا باصفرار الوجه صلى الله
عليه وسلم وليحذر من التعريض بحاجته الى بعض الامور بحضرة الاغنياء المعتقدين فيه كسؤاله عن ثمن الجبن
أو الحطب أو العمامة أو الفوطة أو المداس أو منديل النساء أو كوفية لصغير عنده أو غير ذلك منه لافهامهم أن
الفقراء محتاجون الى ذلك وهم يعلمون أن ليس معه شيء يشتري به ذلك فيبادرون لشرائه فكأنه سأل تصريحا
واعلم ان التعريض لهم لمصلحة الفقراء الذين عنده أخف أمرا من نفسه وعياله وقد تناظر كلب السوق مع كلب
الصيد فقال كلب السوق لكلب الصيد مالك لا تقنع مثلي بكسر المزابل وتستريح من مخالطة الملوك والامراء
واني أراهم يعزونك ويكرمونك ويهينوني ويطردوني فقال كلب الصيد أنا وان خالطتهم فاني معزوز مكروم
لأني انما أصطاد لغيري وأنت لما كنت تصطاد لنفسك أهنت وحقرت وطردت على المزابل فان كان ولا بد
من قبولك الرفق من الاخوان المعتقدين فاحذر أن توهمهم أنك قادر على الاكل من الغيب وانك قادر على قلب
الاعيان ولكن تركت ذلك أدبا سواء كنت محقا أو مبطلا فان ضرر ذلك شديد ومما يثبت هذا التوهم حكايتك
عن الاولياء الذين قلبت لهم الاعيان وقولك ان ذلك نقص والكاملون لا يقع منهم شيء من ذلك وان كانوا قادرين
عليه فافهم والله يتولى هداك وهو يتولى الصالحين * ومن شأنه أن يجالس الفقراء أصحاب القمل ويفلي ثيابهم
لاسيما ان كانوا عميانا ولا يزدري الجلوس معهم لأن الله تعالى عاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم في حق
الاعمى فقال عبس وتولى أن جاءه الاعمى وما يدريك لعله يزكى أو يذكر فتنفعه الذكرى الآية فافهم ذلك * ومن
شأنه أن لا يكون محبا لأن ينفرد بالصيت لأن فيه آفات لا تحصى وأقل ما فيه انه يصير يكره كل من ارتفع شأنه
عليه من أقرانه وان أطاع الله وزهد في الدنيا وتورع واتقى لأنه يطفي ذكره اذا أراد عليه من ذلك فيحب نقصه
من الخير حتى لا يتميز عليه وهذا من لازمه لا ينفك عنه فيصير هو وابليس اخوانا على أني اجتمعت بابليس في
عالم الخيال وذاكرته فقال ابليس أنا أغار على نقص الطاعات لأن الرحمة سبقت الغضب ولأن من كمال الله تعالى
وجود الطاعات والمعاصي في ملكه الاسم المنتقم ونحوه يطلب الانتقام من أهل حضرته وليس ذلك الا من
العصاة كذلك الاسم الرحيم مثلا يطلب الرحمة من أهل حضرته وليس ذلك الا للطائعين فلم ينقص الوجود ولا

يخلو

يخلو طرفة عين من طاعة ومعصية فكل اسم يطلب وقوع أثره من أهل حضرته وخطاب الحق سبحانه وتعالى بالاوامر والنواهي يعم المؤمن والكافر والطائع والعاصي والارواح والروحانيين فاذا علم الاسم الرحيم مثلا انه قد انتهت مدة الانتقام ممن استحقه أخذه ليجري عليه حكمه من الرحمة واللطف فالخلق كلهم مخاطبون بالامر فمن أجاب سمي مطيعا ومن أبى سمي عاصيا شقيا فاباية العبد عن اجابة الامر ليس من حيث نفسه وحقيقته لانه مقهور دائما تحت الاسم الذي قهره والا فكيف يمكن العبد الضعيف أن يتخلف عن اجابة الأمر الالهي فالتنازع بين الاسماء واقع لانهم الاكفاء بين العبد والاسم الداعي الى حضرته ومؤاخذة العبد بالاباية بادعائها لنفسه وعدم اضافتها الى الاسم الالهي الذي هو تحت قهره فالعبد لم يزل بين الاسماء أسيرا يتركه اسم فيستقبله آخر وهكذا شأنه اه كلام ابليس فانظر هذا اللعين ما أشد معرفته بحضرات الاسماء وما يقابلها فافهم ذلك وماذا يضر العبد ان لو كان الناس كلهم مسلكين عارفين لان في ذلك شرفا لنبيه صلى الله عليه وسلم اذ من خصائص أمته أن يكون فيهم الاقطاب والابدال والاوتاد وغيرهم فلزم هذا المسكين الكراهة لأهل التقوى لله تعالى ولو صدق في محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم لاحب كثرة المشايخ والمسلكين لان ذلك مما يسره صلى الله عليه وسلم فافهم ذلك ومن شأنه أن يحفظ لسانه في حق أقرانه وهذه الخصلة مصيبة لا يخلص منها الا القليل من الفقراء فانه ان لم يصرح بتنقيصه عرض به وكلاهما على حد سواء لانه يخاف أن يصرح بغيبته فيزدريه من يسمعه من تلامذته وغيرهم واعلم انه لا بأس بتبيين بعض عيوب أهل الدعاوى لينزجر من يريد أن يتبع طريقهم كغالب تلامذة هذا الزمان لغلبة الهلاك فمن ينسب الى الطريق مع أن أهل الطريق كلهم يلمزونه لتصنعه وتزويقه لعمامته وعذبته واعتدال رشقها في العمامة والنظر اليها قبل أن يلبسها ويخرج الى الناس وغير ذلك من الأمور التي لا تخفى على آحاد المؤمنين فكيف يطلب أن يجوز على الله تعالى اما بان ذكر أحدا من الفقراء بسوء بحضرة من لا يريد اللحوق بهم ولا هو طالب أن يكون مخصما من العوام المعتقدين فهو حرام شديد التحريم واحذر أن تفتح باب الذم للتلامذة تفتكها في عرض أحد من أقرانك في جهة النصح والتحذير اذا علم العبد ذلك فليحذر من قوله في حق أحد من أقرانه فلان لم يقع له شيء من التجليات والمقامات التي هي علامات السير في الطريق عند القوم ولو رأيناه ذاق شيئا ماوسعنا من الله تعالى ان ننقصه لكن الحق أحق أن يتبع فيكثر الغيبة في أخيه بهذا الكلام وهذه الدسائس قل أن تجد اثنين من الفقراء بينهما صفاء ومودة وربما يدعى أحدهم الى وليمة عرس فيبلغه ان أخاه هناك فيمتنع ويكره أن يجتمع معه ولهذا الازال الحق في بلاء بسببهم ولولا البهائم لم يمطروا لحديث عائشة رضي الله عنها قالت يا رسول الله انهلك وفينا الصالحون قال نعم يا عائشة اذا كثر الخبث عم العقاب الصالح والطالح وليحذر أرباب الدعاوى من الخروج مع الناس في الاستسقاء ونحوه فربما توقفت الاجابة لكونهم حضروا والماثل بواطنهم من الدعوى وهي منازعة لله تعالى لاستبطانهم ان الخلق انما سقوا بسببهم وانهم أقرب الى الله تعالى من جميع من حضر ولذلك يتقدمون للدعاء أمام الناس فلا يدعى لطلب الحوائج الا المنكسرة قلوبهم اما هؤلاء فقلب الواحد منهم أغلظ من الحجارة لاسيما ان أرسل اليه السلطان بخصوصه ليستسقي فافهم واعلم أن الكشف المحسوس اذا كان لا يجوز الوقوف معه فكيف برؤية المنامات التي يرى التمييز بها على أقرانه وليحذر من استجلاب قول الناس فلان انتفع على يد فلان وانتقل وله كذا وكذا سنة عند الشيخ الفلاني لم يتحول عن حالته ولم يرشم شيئا من التجليات فان ذلك سم قاتل فكيف بالشيخ لو ذكر ذلك عن تلميذه وصرح به نسأل الله تعالى العافية لؤلفه * ومن شأنه أن يتنبه لما يحصل بسبب الاذن له في التلقين في شيخه أو غيره من ترك النصح من اخوانه وتلامذته لانه حين يصرح لهم ان الاذن جاءه بذلك وان له أن يربي المريدين والسالكين لا يجرأ أحدهم أن ينصحه لاسيما ان كان له ناموس قائم في قلوب المعتقدين بالاطراق والعذبة ووضع رأسه في طوقه وغير ذلك من الخصال سواء كان محقا أو مبطلا فانها اذا علمت ذلك فينبغي للشيخ أن يحثهم على النصح له ويشدد عليهم في ذلك وقد أراد السيد عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يمتحن أصحابه فقال ما تفعلون بي اذا أنا اعوججت عن طريق الحق فقالوا نضرب هامتك بالسيف ففرح بهم وقال هكذا كونوا

فليحذر الشيخ القاصر من قوله لتلامذته ان لم يكن التلميذ يحمل جميع أفعال شيخه التى ظاهرها الفساد على موافقة الشرع ويؤولها على أحسن الوجوه لايجيء منه شيء وهذا انما يباح لكمل الأولياء من ورثة الانبياء عليهم السلام وأما القاصر عن درجتهم فكيف يسد على نفسه باب النصح من اخوانه وهو محتاج الى التطهير من الدسائس والأوصاف المعيبة وان وقع ذلك الكلام عن الكمل من المتقدمين رضى الله تعالى عنهم فذلك مصلحة للتلامذة لعلمهم بأنهم على بينة من ربهم ويتلوه شاهد منهم فى كل حال سلكوه وهامن المشى على قدم مورثهم فيوافق أمرهم التلامذة بحملهم على الشرع حالهم التى هم عليها وأما من ليس له هذا القدم كيف يأمر التلامذة بأن يحملوا جميع أفعاله على الشرع ويمنع نفسه الخير والنصيحة وأين هذا الحال من حال الأولياء العارفين المتهمين فى جميع أحوالهم بالنفاق وأفعالهم بالرياء رضى الله عنهم أجمعين وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول رحم الله من هدى الى عيوبى وكان رضى الله عنه يمضى الى بيت حذيفة بن اليمان ويقول له ياحذيفة أنت كنت صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنت تعرف المنافقين وتعهدهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فانظر مافى من النفاق فعرفنى به فيقول والله ياأمير المؤمنين لا أعلم فيك نفاقا فيقول انظر وحقق النظر فيبكى حذيفة ويبكى عمر رضى الله عنهما فلايزالان يبكيان حتى يغشى عليهما أما حذيفة رضى الله عنه فمن سماع الكلام من السيد عمر وأما عمر رضى الله عنه فخوفا أن يكون فيه نفاق لا يشعر به فانظر اتهامه رضى الله عنه لنفسه بالنفاق مع علمه أنه مقطوع له بالخير والرضا من الله تعالى والشهادة بأنه من أهل الجنة بقوله تعالى لقد رضى الله عن المؤمنين الآية وهو من أهل البيعة بلاشك فاذا كان هذا حال السيد عمر رضى الله عنه فكيف بحالنا نسأل الله تعالى العافية وقال القطب الربانى سيدى أحمد الرفاعى رضى الله عنه من لم يتهم خواطره دائما لايثبت فى ديوان الرجال وبالله التوفيق * ومن شأنه أن لايستنكر على من ناداه باسمه من غير لفظ سيادة أو مشيخة لانه كلام صحيح ليس فيه كذب بخلاف لفظ السيادة والمشيخة فقد لا يكون سيدا ولا شيخا عند الله تعالى فيقع القائل له ذلك فى الكذب هذا الذى ينبغى للشيخ أن يظنه بنفسه دائما فيحمل من لم يعظمه على ذلك وأما التلميذ فهو مأمور بالأدب معه فلا يناديه باسمه فقط من غير لفظ سيادة أو مشيخة ونحوها ولا بالقاب المذمومة وان كانت حقا فافهم ذلك * ومن شأنه اذا لم يطرقه بكاء ولاخشية أن لايذكر مافيه انتصار النفس كقوله البكاء والرقة انما يكونان للناقصين وأما الكاملون فلا يتأثرون بسماع كلام ولاتؤثر فيهم الأحوال ويستدل بقول أبى بكر الصديق رضى الله عنه حين رأى شخصا يبكى عند سماع القرآن هكذا كنا حتى قست قلوبنا او بقول الجنيد رضى الله عنه لما تحرك الجماعة للسماع ولم يتحرك فكلموه فى ذلك فقال وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب وغير ذلك من الحكايات لانه أولا ليس على قدم من يحكى عنهم هذه الحكايات وبتقدير ذلك فهل كان معهم فى جميع أحوالهم ومن تأمل وجد الغالب على العارفين دائما البكاء والخوف حتى كان السيد أبو بكر رضى الله عنه يقول ليتنى كنت طائرا أو تبنة وقال السيد عمر رضى الله عنه ياليت أمى لم تلدنى وقالت السيدة عائشة رضى الله عنها ياليتنى كنت نسيا منسيا قال الفضيل بن عياض رضى الله عنه لا أغبط نبيا مرسلا ولا ملكا مقربا أليس هؤلاء يشاهدون أهوال الآخرة انما أغبط من لم يخلق وغير ذلك من أحوالهم المشهورة وقد بات شخص تحت غرفة للسيد عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه فنزل عليه ماء ولم يعرف سببه والسماء مصحية ليس فيها سحاب فصعد سطح الغرفة فوجد السيد عمر ساجدا ودموعه تجرى حتى جرت فى الميزاب ونزلت على الأرض فهل كان هذا ناقصا وكنت أنت كاملا فافهم والأدب خير كبير واحذر من أن تذكر الأولياء الذين مضوا بسوء لما تنظر فى كلامهم من التلوين كسيدى عمر بن الفارض وسيدى محيى الدين وغيرهم وانهم تقدموا الى ماقدموا وتلك أمة قد خلت على أن القائل ان سيدى ونحوه من أرباب التلوين لم يذق طعم التلوين الذى ينقص مقامه به فكيف بالتمكين وغالب من يقول ذلك انما يقوله بالتقليد لما يجده فى كتب فقهاء الصوفية كرسالة القشيرى ونحوها من ان التلوين للناقصين وهو لم يفهم مرادهم فان مرادهم به التلوين بلاتمكين فيه والكامل عندهم من تمكن فى التلوين ولولا أن المراد هذا لما كان الله سبحانه وتعالى كل

يوم هو في شأن فالكامل من الرجال من يعلم ما يتقلب فيه في كل نفس ومن لم يقف من نفسه ولا من غيره على اختلاف آثار الحق فيه في كل نفس فلا معرفة له بالله لأنه جاهل به وبنفسه وبالعالم فافهم والزم الأدب مع الأولياء رضي الله عنهم فإن اعتراضك دليل على عدم ذوقك وليس يترتب عليه ثمرة لأن الذين مضوا الى الآخرة ليسوا من أهل الأخذ عنهم حتى يحمل كلامك على أنك تبين مراتبهم لمن يريد السلوك وأي فائدة لقولك الآن لأن كان ناقصا إذا علمت ذلك فترك البكاء نقص وقسوة قلب منك وقد قال الله تعالى ٢ رسوله من كان هذا حاله وما نقل عن السلف من ضد ذلك إنما كان في أوقات نادرة ولكن الضعيف لما ينظر نفسه يستدل بحكاية مناسبة له ولحاله وقعت من شخص مرة في عمره لأنه إن حكى أحواله الغالبة أقام الحجة على نفسه فافهم ذلك * ومن شأنه أن لا يعتمد على عمل صالح فكيف عبادة دخلته النفس وقد سمعت يهوديا يقول لآخر لا تظن بنفسك الخير أبدا ولا تدعها تألف شيئا من أحوالها لأنه لا يتقرب الى الرب بشيء دخلته النفس اهـ فإذا كان اليهود يتناهون عن مثل ذلك فكيف حالنا نسأل الله تعالى العافية واعلم أن نصح الإخوان من المشايخ لبعضهم بعضا قل في هذا الزمان فلا أحد ينصح أحدا مع اطلاعه على ما في قلبه من الدسائس وربما وقع لبعض القاصرين الخوف من أنه لو نصحه فتح عليه الآخر باب النصح فيفتضحان من المشيخة بزعمهما فكل واحد يخاف أن يظن تلامذته به أنه لولا نقصه ما نصحه الآخر وقد كان السلف الصالح رضي الله عنهم ينصحون بعضهم ويراسلون بعضهم بالدلالة على أحدهم والتوبيخ لهم ويفرحون بذلك إذا علمت ذلك فاحذر من ترك النصح لأحد ولو انخرق ناموسك عند جميع من يعتقدك وذمك الخلق على ذلك واعلم بأنه ينبغي لك أن تعتقد في نفسك أنك ما أنت فقير إلا عند العوام وليس لك عند الفقراء الصادقين قدم وخير الناس من هو مستور ومحوا اسمه من ديوان المتمشيخين لما لا يخفى أن الفقر نور ما دام الفقير يستره واحذر إذا اجتمعت بزيارة أحد من إخوانك القاصرين أن تذكر له واقعة وقعت لك أو مناما أو كشفا أو تظهر فضلك عليه فإن ذلك يكدر عليه حاله بل اسأله الدعاء وسارقه بالنصح عما فيه بالتعريض والتلطف كهيئة المتعلم منه والمستفيد واحذر من أن تظهر له منك طلب التمييز عليه فإن نفسه تقوم ولا ينتفع بكلامك لا سيما إن استشعر من تلامذته أنهم لحقوا بذلك واحذر من قولك في حق من نصحك إن فلانا نصحنا بشيء وهو معذور لأنه يظن أن الفقراء محتاجون الى مثل ما نصح به لأنهم رضي الله عنهم صفاهم الحق من كدورات البشرية إنما يحتاج الى ما نصح به الفقهاء والعوام بل من الفقراء من لا يعرف إبليس وجنوده فإن في هذا إيهاما للخلق بأنك خال مما نصحك لأجله ونسبة اليك مع نصرتك نفسك بإدخالك لها مع الفقراء الذين مدحتهم فافهم ذلك ولا تحتجب عن نفسك بشيء ولو كنت خاليا مما نصحت لأجله واحذر من أن تقوم نفسك عنه وتصنف رسالة في الرد على كلامه تجمع فيها من كلام بعض القاصرين فإن ذلك انتصار للنفس ووبال ذلك يرجع عليك بنفسك لنفسك فافهم واحذر من أن تنسب الناصح لك من أقرانك الى أن سبب نصحه من الغيرة الذي لم يجتمع الناس عليه كاجتماعهم عليك ويأخذوا عنه كما أخذوا عنك فهذا سد هذا الباب عليه وليس من قدره أن يجمع قلوب الخلق عليه لا الله واحذر من قولك الأمر ما هو بيدي وإن كان ذلك حقا أريد به باطل واحذر من قولك أيضا الحق سبحانه وتعالى إذا أقام عبدا لنفع الخلق جمعهم فيه على رغم أنفهم فإن النفس تسعى في ذلك وهو سم قاتل مع ما فيه من تزكية النفس بجعلك نفسك من الذين أقيموا لنفع الخلق والعباد وإرشادهم وإنك نائب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو تأملت ونظرت بعين البصيرة وجدت الطباخ أو بياع الفول الحار أو الزيت الحار أو الحراث أو الحصاد أنفع منك ولا يشك في ذلك إلا الأعمى ومن تأمل نفع الرغيف أو الطبيخ أو الزبون إذا كان جائعا أو حافيا ونفع كلامه الذي يلقيه لمن يجلس عنده عرف صدق ما أقول لأن بهذا الحرف قيام الوجود فأصحاب الحرف على خير كثير ونفع تام ومن تمام ذلك بهم احتقارهم نفوسهم واحتمالهم قول المتفقهة لهم يا جهلة يا حمير بل يصيرون خائفين أن يقعوا معه في واقع واعلم أنه لو كان الشيخ يصير شيخا بكثرة المريدين حوله لكان المشعوذون أولى بالمشيخة فقد عد بعض أصحابنا حلقة مشعوذ فوجدها تزيد على ثلاثمائة نفس لا يقدر شيخ يجمعهم في ورده إلا في وليمة وكل هذا غرور فافهم واحذر من أن تنسب نفسك الى أن فلانا انتفع بك فإن في ذلك هلاكك وإن لم

تمكن ترى نسبة جميع الخلق الذين حولك كما ينسب الملك أهل السوق أو جماعة شيخ آخر فأنت مغرور مفتون
لأنك ترى لك نسبة في هداية الخلق وإن كانت الآلة والواسطة لا بد منها لكن هذه أحوال يعيب معها عقل
الرجل ورشده فافهم * ومن شأنه أن لا يقتصر على لبس الزي والهيئة وإرخاء العذبة وحضور الولائم وتقول له نفسه
من حين حصل لك الاعتقاد والتلامذة أنت بخير كبير وكلما كثر أتباعه ومعتقدوه واغتر وجد الله
وكلما قلوا انقبض واغتم وسخط في الباطن على الله بل لا ينبغي الالتفات لهذه الأمور بوجه من الوجوه
فشأن الفقير دوام الإقبال على الله تعالى باطنا وظاهرا بأنواع القربات والعبادات فهو في غفلة من
أحواله الظاهرة وهذا أهل حضرة السلطان ليس لهم نظر في حال مجالسته إلى ظاهرهم ولا إصلاح
عمامتهم ولا وسخ ثيابهم ولا إلى سجادة يجلسون عليها ولا غير ذلك من أحوال الغافلين عنه واعلم أنه ليس من
الغفلة اشتغال العبد في حقوق أهله لأن الله تعالى قد عين لهم حقا عليه وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه
وسلم لي وقت لا يسعني فيه غير ربي فوالله في ذلك الموطن ليس لنفسه ولا لشيء من خلقه وسامحه الحق في رجوعه
إلى أهله من هذا المقام لكونه ما رجعه إلا الله الذي افترضه عليه وتأمل قوله تعالى يوم نحشر المتقين إلى
الرحمن وفدا تعرف أنه لا يحشر إليه إلا من ليس عنده سواه * ومن شأنه أن يكون عنده شفقة على من يجتمع
عليه ولا يتسبب لهم في الوقوع فيما يغير عليهم قلوبهم فليحذر من أخذ التلامذة معه الولائم بغير طلب صادق من
أصحابها فإن ذلك من أشد الضرر عليهم لضعفهم عن تحمل أوساخ الناس وقد كان سيدي الشيخ إبراهيم المتبولي
رضي الله عنه يقول للتلامذة لما يريدوا أن يمضوا معه إلى وليمة إن كانوا طائعين له ارجعوا فإني عازم على أكل
السم فهل تأكلون سما فيرجعوا فيقول لهم أنا بحر لا يؤثر في السم يا أولادي لا سيما والتلامذة يأكلون طعام
الناس من الشبهات بشهوة نفس ويقولون لبعضهم هذه الأيام مع سيدي الشيخ تعد من الأعمار ويعتبون على
من فاته الحضور لأجل حرفته التي يعود عليه وعلى عياله نفع منها ولو كان شيخهم لا يدعو أحدا إلى وليمة ولا يلتفت
إليه بالبرهو ويتقشف بلبس الجبة الخشنة والفروة الغليظة ويأكلون معه خبز الشعير أو الذرة اليابس بملح أو حاف
مما كان صلى الله عليه وسلم يأكله لما عدوا هذه الأيام من العمر ورأوها كلها بلاء وربما فارقوه ونفروا عنه
فافهم واحذر والله غالب على أمره * ومن شأنه أن يكتم مساوي أقرانه ويظهر محاسنهم والثناء عليهم وينشر ذكرهم
بلا علة تحمله على ذلك من قصد المكافآت ونحوها فقد ينشر الشخص ذكر أخيه ويثني عليه بقصد أن ينشر
الآخر ذكره ويثني عليه وقد يثني عليه حتى يدفع عنه نسبته إلى الغيرة وينسب إلى وسع الخلق لا سيما إن كان المثني
عليه يحط على المثني فإن ذلك مما يزيد في نفسه اعتقاد الخلق خاصتهم وعامتهم فيه فينبغي له أن يظهر العجز وعدم
احتمال الأذى في بعض الأوقات سترا لحاله فإنه عورة ولكل حال مقال إذا علمت ذلك فيجب أن يؤول أحوال
أقرانه الناقصة ما أمكن في غيبتهم وليصرح لهم بذكرها بحضرتهم ولا عليه من تغيرهم من النصح لأنه نفعهم من
حيث لا يشعرون وأقل ما في ذلك تحقيرهم لنفوسهم ساعة نصحه لهم * ومن شأنه أن يحذر أن يتدارك دعوى تقع
منه بذكر أمور توهم السامعين تبريه من الدعوى مع أنه صار قلبه قدر الصندوق من الفرح لما رآهم صدقوه في
دعواه وزادوا فيه اعتقادا سواء علم أنه يلزم من ازدراء شخص أو احتقاره الوقيعة في جميع أصحابه ومحبيه لأن
الأرواح جنود مجندة فالممقوت لا يجتمع إلا بالممقوت والمحبوب لا يجتمع إلا بالمحبوب فلا يجتمع اثنان قط على
محبة إلا وبينهما رابطة المشاكلة في الباطن فافهم واحذر من أن يظن من نهاك عن خلطة من لا يصلح من
الممقوتين أنه يرى نفسه خيرا ممن نهاك عنه لأن ذلك لا يلزم لأمور يدركها الفقراء ذوقا واحذر أيضا من مدح تلامذته
ما أمكن لأن ذلك ضرر على التلميذ وعليه لأن مدح تلميذه مدح له فليكف قوله فلان رأى نجومات الخلوة أو أقمارا
أو نحو ذلك مما هو آثار الجوع فإنهم يقولون في المثل جعت حتى رأيت النجوم ولو كان ما يقوله التلميذ حقا صحيحا
ما استتر عنه ما رآه في خلوته لما يخرج منها أو أبى الرطب المعمول له من الجني واعلم أن الكمل من الأولياء رضي الله
عنهم لا يحسون بشيء من هذه الأحوال ولا ينسبونها إليهم بوجه ولذلك كانت تلامذتهم يخبرونهم بخوارق
وعلوم وأحوال اكتسبوها مدة صحبتهم ويتبرؤون منها لأنهم كانوا يدعون الخلق إلى الله محض عبودية فلذلك كانوا

لا يعلمون من يجيب دعوتهم من غيره يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا انك أنت علام الغيوب وصدقوا فهكذا هو الأمر واعلم ان الطريق موحشة كثيرة العطب دسائسها لا تحصى لا ينجو منها الا القليل ولذلك قال القطب الرباني أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه الهالك من ينسب نفسه الى طائفة القوم أكثر من الناجي لا سيما من اشتهر بالصلاح وأقبل الخلق عليه بالاعتقاد والثناء وقد كان سيدي الشيخ أحمد بن الرفاعي رضي الله عنه يقول لتلامذته كونوا أعمدة ساولا تكونوا رأسا فان الضربة أول ما تقع في الرأس فكم طيرت طقطقة النعال حول الرجال من رأس وأذهبت من دين نسأل الله العافية لنا وللمسلمين فافهم فهمنا الله واياك عنه كل خير ومن شأنه اذا جلس لارشاد الخلق باذن خاص في منامه من النبي صلى الله عليه وسلم أن لا يرى له بذلك مزية وتخصيصا على من لم يحصل له ذلك من أقرانه وغيرهم فهو مساو ان لم يحصل له ذلك بل ربما كان ذلك يجره الى المكر والاستدراج وجميع الخلق مأمورون بنصح الخلق في اليقظة بنص القرآن والسنة وما ثبت في اليقظة أصح مما ثبت في النوم لعدم ضبط النائم على أن العارفين من المحققين اتفقوا على أن الاذن الخاص من النبي صلى الله عليه وسلم لا يكون الا للقطب الحاوي الوراثة المحمدية وأما غيره فاذنه راجع الى أرباب النوبة وغيرهم من أصحاب التصريف فمن ادعى الاذن الخاص فكأنه ادعى أنه القطب الغوث الفرد الجامع ولو أنه فقيه محجوب لقنه الأولياء لكن حكمه عندهم حكم الشخص المشهور بالجنون كمن يتشبه باكابر الدولة في الخيال ليضحك الناس أو كالفقير المجذوب أو المهبول اذا قال أنا السلطان أو غيرهما ممن هو بعيد من حضرة الملك بخلاف ما اذا ادعى أحد من أهل حضرته ذلك محقا كان أو مبطلا فانه يقام عليه السياسة ويؤمر به الى دار الهوان والعقوبة فاحذر ذلك فانه يجر الى العطب وان وقع لك هذا الاذن في النوم في رؤية صحيحة جامعة للشرائط فلا تذكره لاحد فان ذلك من الضعف وقلة التثبت فان أمرت في النوم بذكر ذلك للخلق فاذكره امتثالا للامر لا لعلة أخرى فافهم والنصح بلا قصد ودعوى أقل آفات ولو لم يكن الا أن ذلك يجر الى أكل الدنيا بالدين من الأكل من الولائم وغيرها وتوجه الخلق اليه بأوساخهم من الزكوات وغيرها وكل ذلك لاعتقادهم فيه الولاية فان اشتروا له ثوبا يسامحونه فيه وان رأوه محتاجا الى شيء بادروا بتحصيله له فكافهم وشق عليهم ولو طلب منهم يتيم أو مسكين عاجز ثوبا أو درهما لا يعطونه شيئا ويمكن أن يخرج الشخص الى سوق من الاسواق فيأمر وينهى ألف نفس ويصير شيخهم بذلك من حيث لا يشعرون فان كل من علمك ما لم تكن تعلم فهو شيخك شئت أم أبيت فمن نصح وأرشد هكذا من غير قصد مع قيامه في أسبابه وحرفته فهو على خير عظيم وأجره موفور ان شاء الله تعالى وقد تقدم أن كل عبادة نشأت من لقمة فهي لصاحب تلك اللقمة فافهم ولا تجادل في ذلك فانه والله مع عليك كما شاهدنا ذلك في قبولنا والسلام * ومن شأنه أن يتثبت في ما يحكيه عن نفسه من الوقائع والاحوال وان كان ذلك من النقص حيث لم يترتب عليه مصلحة دينية اذا علمت ذلك فاحذر من قولك اني انما جلست لارشاد الخلق بخاطر من قبل الحق لان ذلك لا يصح لاجماع المحققين من العارفين على أن خاطر الحق لا يكون فيه أمر ولا نهي اذ قد فرغ سبحانه وتعالى من الاوامر والنواهي على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم لقوله اليوم أكملت لكم دينكم وغيره لقوله صلى الله عليه وسلم ما تركت شيئا يقربكم الى الله تعالى الا وقد أمرتكم به ولا شيئا يبعدكم عن الله تعالى الا وقد نهيتكم عنه الحديث فلا ينزل ملك الخاطر بوحي حكم شرط على غير شيء أصلا ولا بأمر الهي جملة واحدة فان الشريعة قد استقرت وتبينت مراتبها فان قال أمرني الله تعالى من غير واسطة قلنا هذا أعظم من ادعائك الاول لانك ادعيت ان الله كلمك كما كلم موسى ولا قائل به ثم انه لو كلمك ما كان يلقي اليك الا علوما واخبارا لا أحكاما ولا شرعا ولا يأمرك أصلا لانه علم أن الاوامر والنواهي أغلق بابها فمن ادعاها بعد محمد صلى الله عليه وسلم فهو مدع شريعة أوحي بها اليه سواء وافق شرعنا أو خالف فعلم أن كل أمر أو نهي فهو من باطن الشريعة ليس لاحد من خارجها ما يأمر منه وينهى لان جميع الخلق تابعون ليس لهم شيء الا من باطن متبوعهم صلى الله عليه وسلم وقد وقع هذا الغلط لشخص من اخواننا فجاء لشيخنا رضي الله عنه فحكى له ذلك فقال يا ولدي هذا حظ نفس وسبب ذلك انك لما توجهت باطنك الى طلب المشيخة بالرياضة والخلوة والذكر صرت

تترقب قوة الخاطر الداعي الى ذلك فلما قوي عليك هذا التوجه واستولى على قلبك حكمت عليك نفسك فظننت انه خاطر من قبل الحق لا تقدر تتخلف عنه وعن امتثاله وانما ذلك من قبل النفس الطالبة لصفة الالوهية على الخلق فما استطعت ردها عن هذا الخاطر لضعفك ولانك مترقب لقوته سنين فلما لحت قوته من أول وهلة شددت به يدك فسكت الشخص المذكور وقال أستغفر الله تعالى وأتوب اليه ورجع عن هذا الباب بعد أن كان لقن الناس الذكر واجتمعوا عليه فتبرأ منهم وفرقهم عنه فلو كان كل من وقع له هذا الخاطر يعرضه على عارف بالله تعالى لكان يبين له خاطر النفس وخاطر الحق فيكون على بينة من أمره من ترك هذا الباب أو الاقدام عليه ويكون ممن يتلوه شاهد منه ولا يبالي بتفرقة من كان يجتمع عليه ويعتقده لاجل اشاعة الاذن المذكور عنه ويصير ممن لم يكن زين له سوء عمله فرآه حسنا فاذا تقرر ذلك ولم يعرض الخاطر المذكور على عارف بالله تعالى الحاول تظن انه خاطر نفس فاجعله خاطره لك لا خاطر الحق وقد وقع ذلك لسيدي الشيخ يوسف العجمي رضي الله عنه ولم يقبله الا بشاهد منه وهو انه خطر له مرة أولى وثانية وثالثة أن ارحل الى أرض مصر وأرشد الناس فقال اللهم ان كان هذا خاطر حق فاقلب لي هذا النهر لبنا خالصا في هذا الوقت حتى أغرف منه بقصعتي هذه وأشرب فانقلب النهر لوقته لبنا خالصا وشرب منه ثم انه شرع في التوجه الى بلاد مصر فانظر عفا الله عنك الى تأنيه وعدم مبادرته في مشيخته والتصدر لها واعترافه بعجزه عن معرفة كون هذا الخاطر حقا أو باطلا لاتهامه لنفسه في كل ما تطلبه منه رضي الله عنه وأما اذا سمع الاذن بخطاب له فهو هاتف امامك أو جني أو ابليس لان له اغواء العارفين بارادة الله تعالى وقول الله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان أي الان أردت ذلك بهم لانه تعالى لا يصح التقييد عليه بشئ يفعله لسعة الاطلاق يمحو الله ما يشاء ويثبت وكل يوم هو في شأن وليس المراد باليوم اليوم المعهود لانه تعالى لا يمضي عليه زمان فافهم ولا يخفى أن هذا التأويل في حق غير الانبياء عليهم الصلاة والسلام أما الانبياء فانهم معصومون منه البتة واعلم أن من تأمل ياء النسبة في قوله عبادي قعد عن الدعوى وخاف من تسلط ابليس عليه لان العبد الخالص من رق الاغيار أعز من الكبريت الاحمر يتحدث به ولا يرى ومن نظر بعين البصيرة وجد نفسه مسترقة لما لا يحصى من الاكوان أفرأيت من اتخذ الهه هواه والمراد بالهوى ارادة العبد اذا خالفت الميزان الشرعي الذي وضعه الله ولا يخلص من ذلك الا كمل الاولياء من ورثة الانبياء عليهم السلام وأما غيرهم فأهويتهم شتى فواحد هواه عذبة وواحد هواه تركها ايهاما للخلق انه يكره الشهرة فهو في حظ نفسه لم يبرح وواحد هواه جبته البيضاء النقية وواحد هواه تركها ولبس الجبة الدنسة وواحد هواه الجلوس على السجادة في حلقة حزبه ووردة ويشق عليه تركها وواحد هواه تركها وواحد هواه اهراق الرأس والعزلة ويشق عليه تركهما وواحد هواه تركهما وواحد هواه أن لا يخرج من بيته الى الزاوية وغيرها الا في أوقات مخصوصة خوفا من سقوط حرمته من قلوب الناس لما شهد واذلك منهم حين كان يكاثرهم وحين ينقبض عنهم وشأن الفقير عدم المبالاة باقبال الخلق وادبارهم وواحد هواه حلقة الذكر في زاويته واجتماع الناس عنده والتواضع له واتخاذه صنما يتمسح به وواحد هواه ترك ذلك وواحد هواه اقامة المجاورين عنده لظنه انه يرزق بهم وانه يعطيه الناس الصدقات لاجلهم وأنه يكبر بهم في أعين الناس بخلاف من ليس عنده مجاورون فانه عندهم غير شيخ أو شيخ على الفتح لأن الزائر يجده جالسا وحده كالقطر بخلاف ما اذا كان عنده تلامذة ملازمين الأدب بالاطراق بين يديه والقيام بخدمته والمشي أمامه لما يركب أو يمضي في شفاعة أو وليمة وواحد هواه اطعام الطعام والدقة والسفر وواحد هواه تقواه وورعه وزهده ونحو ذلك خوفا من ازدراء الناس له اذا فعل ضد ذلك لا حياء من الله تعالى وواحد هواه أن يردما يأتيه على يد الظلمة والمباشرين من البر وواحد هواه جميع هذه الخصال وزيادة عليها وواحد هواه التنزه عن جميع الخصال المذكورة كما مرت الاشارة اليه فعلم من تضاعيف هذا الكلام أن الهوى كما يكون في فعل الاشياء المذمومة كذلك يكون في تركها والعكس لان النفس من شأنها ان تنفر من الذم فاذا رأت شخصا من أقرانها ازدري بسبب اجتنبت ذلك السبب خوفا أن يزدروها مثله فالاجتناب حينئذ من هواها لانه حينئذ ليس خوفا من الله تعالى ويفرح اذا سمعت الناس يقولون فلان لا يحب المشيخة

او يفر من طريقها وهو قادر على أن يركب بغلة ويمشي جماعة حوله أو يتردد الى الاكابر ويدخل بينهم امكنه
أعقل من ذلك لا يتمتع كالجبل فافهم فلا يخلص من دسائس هذه الأمور الا الكامل من الرجال ومن تشبه
بمن يحسن السباحة ولا يحسن السباحة ونزل البحر غرق وأهلك نفسه فافهم ذلك والله يتولى هداك وهو يتولى
الصالحين * ومن شأنه أن لا يركن الى الاذن له بالسلوك والارشاد من شيخه أو غيره لان الاذن لم يتضمن له من الله
تعالى حال اذنه له عدم المقت أو السلب حتى يطمئن الى الاذن ويركن اليه وبتقدير ان الاذن ضمن له ذلك لا يصح
لأن الحق لا تقييد عليه فلا يقدر الاذن على الوفاء لما ضمن ومن فهم معنى قوله تعالى كل يوم هو في شأن وقوله يمحو
الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب فهم الأمر على ما هو عليه واستراح من التكدر من منازعة الخلق له في صحة
الاذن له وعدمه لانه يرى نفسه حينئذ في الزيادة والنقص ليلا ونهارا ففي حال نقصه يحتاج الى شيخ يكمله وفي حال
زيادته يحتاج الى اذن جديد فالامر لا قرار له ليعتمد عليه ولا يكابر في هذا الا أعمى القلب وقد بلغني عن شخص من
الفقراء أنه نوزع في الاذن له من شيخه فاثبته على يد قاض مالكي واستحكم فيه بقصد رفع الخلاف والنزاع ولعمري
هذا مسكين لم يفهم من الأمر شيأ * ومن شأنه أن يكون يقظا فطنا لما يبرز منه فلا يعطى كل جليس الا ما يقبله
استعداده في كل زمان فاذا علمت ذلك فلا ينبغي أن تتمنى بفتح باب المشيخة والارشاد في هذا الزمان لان العارفين
بالله تعالى كلهم أمسكوا عن هذا الباب من أزمان متعددة كسيدي الشيخ ابراهيم المتبولي وسيدي أبي العباس
الغمري وسيدي محمد بن عنان وسيدي المنير رضي الله عنهم أجمعين وقد طلب جماعة سيدي محمد الغمري رضي
الله عنه لما توفي من ولده سيدي أبي العباس الغمري رضي الله عنه أن يتصدر لباب التسليك فأعرض عنهم
فألحوا عليه مرارا فقال لهم أين طالب الله خالصا فما تجرأ أحد منهم أن يتقدم ورجعوا لعلمهم بما دخل في
نفوسهم من عدم الصدق وقد كانوا على طريق ليس أحد الآن من المشايخ يمشي عليها من صيام الدهر وقيام
الليل ولبس الثياب الخشنة وكان من شأنهم فيما بينهم أن يهجر بعضهم اذا تكلم بمباح مستوى الطرفين
ويقولوا فعل المباح ليس من طريقنا انما طريقنا الاجتهاد ليلا ونهارا هذا ولم ير الشيخ أحدا منهم انه أهل للطريق
وكذا وقع لسيدي أحمد بن الشيخ محمد ابن عنان الذي بشر به سيدي الشيخ ابراهيم المتبولي رضي الله عنه لما قيل له
يا سيدي من يتولى خدمة الحجرة النبوية بعدك فقال شخص يقال له محمد بن عنان سيظهر من بلاد الشرقية هذا
والأولياء تبشر بالأولياء فشهد له بالولاية قبل أن يوجد ومع هذا فأبى وحلف أنه طريق الله تعالى وسد عليه
هذا الباب لعلمه بعدم جدوى الشهرة في هذا الزمان وكذلك فعل غيره رضي الله عنهم وذلك لكمالهم وأدبهم مع
الله تعالى وشهودهم تصاريف الاقدار في الخلق فلا يريدون اكمال ما أراد الله تعالى نقصه لعلمهم بأنه سبحانه وتعالى
أراد نقص الوجود كله لقوله أولم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها وغير ذلك من الآيات والاحاديث
وقد طلب جماعة شيخنا الشيخ محمد الشناوي رضي الله عنه من الفقير التلقين لهم بعد موت الشيخ فأبيت فألحوا
على بقول الشيخ رحمه الله اني خلفته من بعده فشق على ذلك لما أعلم من نفسي فلقنت منهم جماعة فرأيت كاني
أخيط النعال خياطة محكمة فلما أنهي العمل يتفسخ بنفسه كما كان أولا فعلمت الوجه من ذلك وان الأمر فرغ
منه فرحم الله تعالى الشيخ فاما ان كان الغالب عليه سلامة الصدر أو كاشف على الزمان الآتي فيرجع هذا الأمر
الى وراء فان الفقير لا يصلح ان يكون تلميذا ولو قدر أنت لو حاكتو بابين السماء والأرض من جملة ما فهمه ان الله
سبحانه وتعالى أراد نقص الوجود من كل شئ في سنة أربع وستين وستمائة فالمتصدي الآن لهذا الباب على غير
بصيرة من أمره ان لم يكن يرى ذلك ابتلاء من الله تعالى فهو قليل الأدب مع الله تعالى لارادته اكمال ما أراد الله
تعالى نقصه والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون لكنه معذور ان شاء الله تعالى لانه من أهل
الحجب ولو كشف الله تعالى له عن حال الوجود الآن كما كشف للعارفين تمنى أن يدفن حيا وكان ترك هذا الباب
ولذلك تراه يلقن الألف مثلا أو أكثر ولا ينتج منهم واحد كما هو مشاهد ولا ينفع الضرب في حديد بارد غير
مرجو أن يحمى في المستقبل واعلم أنه ليس في هذا الذي نسبناه عليه ترك للذكر والتلقين كما توهم ذلك
الضعفاء بل المراد منه ان كل من يفتح له هذا الباب ينبغي له أن يرى ذلك بلاء ويعتقد انه ليس بأهل للمشيخة

والسلوك وان في ذلك هلاكه واما التلامذة فيحصل لهم بالتلقين الخير لانهم طالبون الحق محتقرون نفوسهم فافهم ذلك * واعلم انه لا يفيد قول الشيخ المذكور لمن يعظمه ويعتقده بلسانه دون قلبه لست بأهل لهذا الباب وهذه بليسة نزلت بنا الآن ذلك مما يزيد الخلق فيه تعظيما ويقولوا انظروا الى تواضع الشيخ مع كماله وجلالته كيف يحتقر نفسه * واعلم أنه لو كان صادقا في هذه الدعوى سأل الله تعالى الاقالة وأكثر من التضرع والدعاء أن يعافيه من ذلك ولكان يأخذ خواطر الفقراء أن يدعوا له بالعافية فافهم هذه الدسائس * واعلم أن مثال من يفتح باب المشيخة الآن كالفقيه الذي فتح الكتاب قبيل غروب الشمس وقعد ينتظر الاطفال ليجيئوه فيعلمهم لاننا الآن في دهليز القيامة وقد خرج كل شيء عن موضوعه وسد كل شيء الى غير أهله لقرب الساعة كما شاهد ذلك من كشف الله تعالى عن بصيرته وانظر الى المركب اذا قربت من البر بعد السفر كيف تطلق حبالها وواجهها وتطوى قلعها وكذلك الحجاج اذا رجعوا من سفرهم وأشرفوا على أوطانهم وحط رحالهم كيف تشتت جمع قطورهم ويحل جميع نظامهم فطالب المشيخة الآن كمن يريد أن يجمع شمل الحجاج ويقطر قطارهم حينئذ كما كانوا في ابتداء سفرهم فيستخف الناس عقله ولا يساعده على ذلك أحد ولا يجيبه فهكذا حال من يتصدر للمشيخة في هذا الزمان الفاتح لكل شر والخاتم لكل خير هذا والعامة صاروا يستخفون عن يفعل ذلك ويقولون فلان عمل شيخا فكأن المشيخة صارت بالعمل والجعل وذلك لمشاهدتهم خموله وكسله وجهله بالحقيقة والشريعة فكل من أراد أن يعمل شيخا سهل عليه ذلك لانها صارت في الغالب بالدعوى فصاروا يستخفون بالمشايخ وان كانوا أهلا للمشيخة في نفس الأمر وذلك لارادة الله تعالى لهم عدم الكمال ففسدت الرابطة وهي الاعتقاد فصاروا لا ينتفعون بكلامهم ليقضي الله أمرا كان مفعولا والى الله عاقبة الأمور واليه يرجع الأمر كله فعلم أنه ليس المانع من اكتساب درجة الولاية عدم صلاحية الشيخ لطريق السلوك والتربية انما هو لأمر يعلمه من علمه ولذلك دعا الرسل عليهم الصلاة والسلام الخلق الى الله تعالى ولم يطعهم الا القليل من الناس مع عصمتهم وصدقهم فسقط ما يقوله بعضهم عن من لم ينتج أحد على يده ولا أثر كلامه في قلب السامع لو كان كلام هذا الواعظ بصدق لأثر في قلوب الخلق فافهم ذلك ونسأل الله تعالى حسن الخاتمة لنا ولاخواننا ومعارفنا وجميع المسلمين فان الموت على درجة الاسلام من غير زيادة في هذا الزمان نعمة كبيرة لا يعدلها نعمة ومن أسقط فقد عد من الكذابين المغرورين وربما وجد أحواله لا تطابق أحوال المسلمين فضلا عن أحوال المؤمنين فضلا عن أحوال العارفين الذين يظن أنه منهم فافهم وتأمل ما بينته لك من الدسائس وطرق الاستدراج والمقت والطرد واسأل الله تعالى المعونة على العمل بذلك البيان واقبل هذا النصح من أخ ناصح فانك لا تجد أحدا الآن من مشايخك واخوانك يدلك على شيء من ذلك كما هو مشاهد وان لم تقبل فوباله يرجع عليك وقد نبهتك بذكر شيء من بعض شؤون الفقراء تنبيها على غيره * واعلم ان جميع ما ينصح به العبد اخوانه من الدسائس والعيوب يخطر على قلب الناصح ولولا ذلك ما نصح أحد أحدا بترك عيب لانه لم يخطر بباله فكيف ينصح بل هو لا يعرفه فجميع الخلق مشتركون في العيوب لكن منهم من يدوم ذلك عليه ويكثر ومنهم من لا يدوم عليه ويقل ومنهم من أعطاه الله تعالى الميزان وهو الكتاب والسنة فوزن ما يخطر له ويقبله ان وافق ورده ان خالف ومن لم يعطه الله تعالى ذلك فهو تحت مشيئة الله تعالى فافهم ذلك والله يتولى هداك وهو يتولى الصالحين * ومن شأنه أن لا يكثر الخوض في معنى الآيات المتشابهة ومعنى الصفات والأسماء ومقطعات حروف المعجم وغير ذلك وهذا وقع كثيرا من فقراء هذا الزمان فطول نهارهم كلام ويظنون أنه أفضل من فعل الطاعات وهو خطأ منهم قال صلى الله عليه وسلم وهل يكب الناس في النار على وجوههم الا حصائد ألسنتهم فغالب من يخوض ذلك خوضه بالتقليد من غير ذوق فيطالع الفصوص ونحوها من كتب الشيخ محيي الدين رضي الله عنه ويخبطون بالفهم والفكر فيأتون ذلك من غير وجهه فيضلون ويضلون غيرهم ويتلفوا عقيدتهم وقد كان محيي الدين رضي الله عنه يقول نحن قوم يحرم النظر في كتبنا على من لم يكن في مقامنا لخوض غير العارفين في مثل ذلك ضرر عليهم في دينهم وعقائدهم فلا يليق ذلك الا بالعارف المتمكن ومن اشتغل بحفظ كلام الناس

فى ذلك وجمع الحقائق ولسان المتكلمين فى الطريق والطرائق فتى يعيش عمرا آخر حتى يفرغ من علم الفناء الى علم البقاء لان القوم كانوا محبين كل منهم يتكلم بلسان محبته وذوقه فهو كلام لا يحصى ولا يحصر لان هذا البحر غرق فيه خلق كثير ولا وصل أحد الى قعره ولا الى ساحله وقد قال القطب الربانى سيدى ابراهيم الدسوقى رضى الله عنه جميع المعبرين والمؤولين والمتكلمين فى علم التوحيد والتفسير لم يبلغوا الى عشر معشار معرفة كنه ادراك معنى معرفة حرف واحد من حروف القرآن أو معرفة كلمة واحدة من كلام الله تعالى وقال شيخنا الشيخ العارف بالله تعالى الشيخ أفضل الدين رضى الله عنه فى تفسير سورة الفاتحة كيف يمكن التعبير عن شئ من الاكوان وهو يتغير ويتنوع فى حال تعبيرنا عنه أم كيف يصح التعبير عن شئ من كلام الله تعالى وفيه مجموع كل شئ أم كيف يحيط الحادث بالقديم فأحق ما أتصف به العالم العجز ومن عجز عن التعبير عن بعض شئ من الموجودات الحادثة كيف لا يعجز عن تعبيره عن القديم وعن نفسه فالعجز العجز العجز فافهم ومن شأنه أن لا يعمل لقول الخلق فلان شيخ وذكرهم له مع جملة مشايخ عصره بل يرى انه لم يشم طريق الولاية ولقد رانه شيخ الآن فى عرف الناس فهو على خطر ولا يصدق اسم الشيخ الاعلى من جاوز الصراط والميزان ونطائر الصحف وخروج التوقيع له بالامان من المقت والغضب وماقبل هذه الاهوال والشدائد التى امام الخلق يخبط فى ظلام لاعبرة به ويدل عليه الحديث الصحيح ان أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار الحديث ولذلك قال بعض العارفين رضى الله عنه لا أثق بالامان فى الآخرة أبد الآبدين لعلمى بان الحق لا يتقيد عليه فى شئ يمحوه أو يثبته وهذا هو الأدب ويدل عليه خوف الانبياء والملائكة مع عصمتهم وحال جبريل وميكائيل لما طفقا يبكيان حين وقع لابليس ما وقع وقول الحق لهما هكذا كونا ولا تأمنا مكرى وأما قوله تعالى وما هم منها بمخرجين وان كان لا يقبل التغيير لقدمه فافهم ذلك والله يتولى هداك وهو يتولى الصالحين

(فصل) اعلم اننا انما أطلنا الكلام فى هذا الباب بارادة الله تعالى لعلمنا بان جميع الدعاوى الفاحشة والدسائس القبيحة تطرق أهل هذه الطريقة وهى منافية للعبودية من كل وجه ونحن انما وضعنا هذه الرسالة لآدابها الأنها هى العمدة قال الله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون يعنى ظاهرا وباطنا ولم يجعل لهم فى الربوبية قدما فانه ليس بين الربوبية والعبودية جامع بوجه من الوجوه والرب من لا يكون فيه من العبودية وجه والعبد من لا يكون فيه من الربوبية وجه وبقدر ما يخرج العبد من احداهما يدخل فى الأخرى فالعبد من لا يكون فيه من الربوبية وجه والرب من لا يكون فيه من العبودية وجه فاذا علمت ذلك فشأن العبودية الذل والعجز ورؤية التقصير فى جميع الاحوال وان جلت بخلاف الدعاوى برؤية اضدادها هذه الأمور فانها تعد عن حدود الله تعالى والعبودية اعتداء والله لا يحب المعتدين ومن لا يحبه الله لا يصلح أن يكون دليلا عليه كابليس وان كان يعرف طريق الحق فافهم ذلك والله يتولى هداك وهو يتولى الصالحين * ومن شأنه أن يتهم نفسه بالسوء دائما ولا يستحسن لها حالا ولا فعالا بل ولا يرى شيأ من ذلك ويتهمها بجميع ما ينسبونه اليها من نحو الفسق والفجور والرياء وحب الرياسة والمشيخة من أول وهلة فما دام لم يظن ذلك فيها الا بعد تأمل وتفكر فهو محتاج الى العلاج وفيه بقية المنازعة والانتصار لنفسه من مدة التفكر * واعلم أن من يحسن ظنه بنفسه وبعمله لا ينتفع بموعظة أبدا مادامت هذه حاله لظنه انه سالم مما قيل فيه ووعظ لاجله ولذلك تراه يحجب عنها ما أمكن ويرى ان هذا النصح انما يصلح فى حق غيره من أقرانه لانه يراه بعين النقص ولو رأى نفسه كما رأى أقرانه لرأى صلاحية النصح لها فكان يتوب ويرجع لكنه لا يرى أن فيه نقصا لانه أعمى لا يبصر فافهم ذلك * ومن شأنه أنه كلما سمع كلاما يصلح فى حق غيره يأخذه فى حق نفسه ويتعظ به كانه هو المخاطب واذا بر زمنه وعظ لغيره يكون على سبيل الفرض والتقدير لان المحو والاثبات واقع فى كل طرفة عين وقال شيخنا رضى الله عنه فى تحفة نتم الصلحة ويجب على كل من ينصح غيره أن يكون مشاهدا حال نصحه أن الله تعالى آخذ بناصية المنصوح الى ما هو فيه وموجه اليه ليعطى الحكمة حقها من الأدب لانه لم يخرج شئ من محركه وساكن عن ارادته سبحانه وتعالى * وقد اعترضت مرة بالباطن على يهودى وقلت كيف ينشرح صدر هذا بالكفر بالله تعالى فما استتم هذا الخاطر الا

وقد ابتليت بما ابتلي به وصرت لا أقدر أن أسمع بالاسلام وأنا في بسط وانشراح لا يعلمه الا الله تعالى وكنت أجهد أن أوحد فلا أقدر وأقول لا يصح الامر الا بثلاثة من غير زيادة أو نقص فجهدت أن أزيد فلم أقدر وجهدت أن أنقص فلم أقدر وكنت بحمد الله أرد الى الصحو والاسلام في أوقات الصلاة حتى أفرغ أرجع الى الجنون ولم أتكلم الا في دين اليهود فكنت على دين اليهود من عصر الجمعة الى ثاني يوم الظهر فكشف الله عن قلبي الأمر عند وضوئي له فعلمت حين ذلك الاشارة في قوله تعالى وكذلك زينا لكل أمة عملهم وعلمت الحكمة في تفرقة الاديان وصرت أعترض على الكفار وغيرهم ولا يضرني هذا الأمر وقد وقع هذا الامر لبعض العارفين رضي الله عنه فمكث على الكفر سنين وكان لا يرد أوقات الصلاة ولا غيرها فاشتد الامر عليه لعلو مقامه اذا علمت هذا فاعرف أولا من ناصية الكافر أو العاصي بيده ثم اعترض لا يضرك حينئذ لانك قد أتيت بالأدب مع الله تعالى وقمت بما كلفت به من الأمر بالمعروف فاذا علمت ذلك فنازع من خالف أمر الله وارتكب نهيه مع شهودك ان ناصيته بيد الله تعالى وانك وهو تحت القهر مشتركان لانكما محل لجريان الاقدار وما تستقبحه منه جائز أن ينتقل اليك وقد كنت قديما أظن أن الامر بالمعروف ينافي التسليم فسمعت هاتفا على لسان الحق تعالى يقول اذا شهدت الامر مني وحدي سلم ولا تنازعني واذا شهدته من غيري انكر عليه ما خالف أمري اه وهذا حال يقع للناقص في أوقات لا يتصور عقله دخول نسبة للخلق في فعل من الافعال وتقول الفقهاء هذا جبري وليس من الجبر في شيء انما هو انكشاف حقيقة برزت له لا يسعه غير ما يراه ولو أتوه بكل دليل وهذا أمر لا يدركه الا الذوق ولكن الكامل يشهد الفعل لله تعالى محضا مع شهود نسبة الخلق في وقوع الفعل لا يحجبه هذا عن هذا اذا علمت ذلك فالزم الأدب واشهد في حال نهيك له أنه ربما يكون أحسن حالا منك وربما كان ارتكابه المنهي سببا لترقيه الى الدرجات العلى لما فيه من تحقيره نفسه وعدم تصور الدعاوى منه لان العاصي لا دعوى له بمعصيته بخلاف المطيع وهذا لا يدركه الا ذوقا * واعلم أن الحق سبحانه وتعالى لا يجري على ألسنة عباده الا خيرا وصدقا فمن كان من أهل الحق أخذ نصحه عن الحق نورا على نور ومن كان من أهل النفس أخذ عن النفس ظلاما عن ظلام وكل اناء بالذي فيه ينضح فأما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وماتوا وهم كافرون واذا علمت أن المحو والاثبات واقع في كل طرفة عين فلا يصح للناصح استصحاب الحال الناقص المخالف للسنة اذا شهده الناصح من أحد ومن حتى يرسل اليه النصح بالنهي عما يشهده بفعله لانه ربما تحول قلبه عنه عقب رؤيتك له وتاب فاذا ذكرت نصحا فاذكره ارسالا من غير تنصيص على شخص معين ولذلك كان صلى الله عليه وسلم يقول ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا ولم يعين الفاعل لانه يشهد المحو والتبديل كل طرفة عين كما ثبت ذلك عنه صلى الله عليه وسلم وكذلك أن تذكره أيضا على نية أن يسمعه من فيه شيء من الدسائس الخفية فيتنبه لها فيحصل لك التعاون على الخير وان لم يكن في السامع ما نصحت حصل لك وظيفة التحذير من الوقوع فيما نصحت لأجله والله غالب على أمره وافرح اذا نصحت أحدا من اخوانك ولم يصادف نصحك محلا بان كان المنصوح غير واقع في ذلك أكثر من فرحك برجوعه بواسطتك لانه حصل مقصودك وزيادة فترى دائما رجوع الخلق الى الله تعالى بلا واسطة كلامك أحب عندك من رجوعهم بواسطتك لما فيه من تحقيق السلامة من آفة رؤية النفس بالنصح فافهم واحذر من تغيرك على الناصح بسبب نصحه فانه بذل جهده ونصحك بأعلى ما وصل اليه علمه فان كان فيك ما قال فتغيرك عليه حمق وان لم يكن فقد حذرك منه لانك معرض له ما دمت حيا ولانك ان كان عندك ذوق أنت تعرف منزعه في النصح ضيقا وسعة فتعذره في الضيق وتشكر صنيعه في الوسع وذلك كاعتراض من لم يفهم مذاق القوم من العوام على من ذاق كالفقير فلا يصلح للفقير أن يقابله بالغلظة والأنفة ولا ينبغي له أن يأخذ منه الا عن الحق فالاشتغال برد كلام الناصح ولو بحق محض جهل وغرور ولان شرط الفقير أن لا يتغير على من يذمه بما ليس فيه فكيف يتغير على من ينصحه فافهم ذلك * واعلم أن المحل اذا كان قابلا للخير مهيئا لاستماعه كثر الناصحون من اخوانه وغيرهم واذا حيل بينه وبين الخير ختم على أفواه الناصحين فلا ينطقون بشيء من النصح له لعدم قبول المحل لذلك فنصح الناصح قد يكون

بشارة لزوال الهم والطبع عن القلب وحق البشير من يبشره ويفرحه أن يخلع عليه من شدة الفرح وأن يكرمه غاية الإكرام فهذا جزاء من حذره من أكل السم بعد تناوله باليد وتقريبه من الفم فافهم ذلك * ومن شأنه أن يحب الذم فيه بنسبة صفات النقص إليه ويأخذ بقوله تعالى ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك ولا يسعه من الله تعالى أن يحب الثناء والمدح عليه بصفات الكمال لأنه لا يليق إلا بسيده فهو يحب أن يتميز بالنقص المطلق وإن أحب الثناء لنفسه بالكمال فذلك على خلاف الأصل لشهوده ذلك حينئذ من الملك الحق وهذا أعز يز وجوده في الأولياء ولما اجتمع بعض العارفين رضي الله عنه بإبليس فقال إبليس إني أحب أن ينسب إلي جميع النقائص ولا أحب أن ينسب منها شيء إلى الحق تعالى فإذا كان إبليس يحب الذم وقاية عن نسبته إلى الله تعالى فالفقير أولى بذلك فافهم * ومن شأنه التسليم لله في جميع الأمور ولا ينافيه الاعتراض على الخلق فيما فعلوه مخالفا للشرع فهو مسلم لله تعالى في جميع ما يفعله في خلقه راض به مشاهد أن ناصيتهم بيده منازع لخلقه فيما خالفوا فيه أمره ولذلك جاهدت الأنبياء والرسل في الكفار مع علمهم عليهم الصلاة والسلام بأن ما جاهدوهم لأجله بقضاء الله وقدره لأنه خلقه ومع علمهم بأن الكفار ما خرجوا عن الإرادة السابقة فيهم إذ للرحمة حد لا تتعداه فالذي أمر بالرفق بالبهائم مثلا هو الذي أمر بذبحها فافهم ذلك واحذر من قولك لمن يحلك ما لك ولهذا الباب سلم للقدرة واسترح وانصح نفسك فإن هذا القول محض جهل وهو دليل على شقاوتك ولو قبل من الخلق الاحتجاج بالإرادة لتساوت جميع الأديان ومن اعتقد التساوي كفر بالإجماع وإنما نهيتك عن هذا لأنه يقع كثيرا للمتصلحين ويظنون أنهم على قدم عظيم وهو من تسويلات الشيطان وغالب وقوع ذلك ممن يتبع طريق القوم من غير اقتداء بشيخ حق له التقدم لهذا الباب فافهم والله يتولى هداك وهو يتولى الصالحين

﴿خاتمة في بيان ما خرج من مقامات السالكين الساقطة بالعبودية﴾

اعلم أن جميع المقامات سقطت عند العبد الخالص فلذلك استراحوا من صلاح الأعمال وسيئها وما يشوب كمالها لأن من سلك من باب العبودية من الذل والإفلاس باطنا وظاهرا وعدم الحظوظ ورؤية التقصير في جميع أحواله لا يحتاج إلى علاج شيء من ذلك لأنه يرى أعلى أحواله نقصا بالنسبة لما يستحقه جلال الله تعالى فلا يرى نفسه مستحقا الثواب أبدا وكذلك من ماتت نفسه أما من نفسه حية تسعى فإن علاجه لا آخر له فانظر بركة العبودية وتقريبها للطريق لأن العبد لما عرف وصفه وله مميز وصفه من وصف ربه وترك منازعته خلع عليه ما لاق به من الأخلاق الحسنة بلا تعب ولا نصب لأدبه معه فإن جميع النقائص والدسائس إنما دخلت على العبد من رؤيته الكمال في نفسه ولو تأمل ما شرعه الله تعالى من التكاليف علم يقينا أنه عبد لا رائحة فيه من الربوبية لأن الحق سبحانه وتعالى إنما شرع الصلاة مثلا ليسمى عبده بالمصلي وهو المتأخر وكذلك الأمر في جميع العبادات وتأمل نقص إبليس لما تكبر عن امتثال الأمر كيف لعنه الله وطرده ومقته هذا مع قوة حجته وشبهته عند نفسه في مجادلته الحق وقوله كيف تأمرني بالسجود لآدم ولم ترده مني فلو أردته مني لوقع لكن نسي أن لله الحجة البالغة على خلقه وقد قال تعالى متى علمت أني لم أرد منك السجود بعد وقوع الإباية منك وذهاب زمان الأمر وقبل ذلك فما لك بعد ما وقعت الإباية علمت أنك لو أردت السجود مني لسجدت فقال تعالى له بذلك آخذتك فلم تؤاخذ إلا بالجهل وقلة الأدب لا بعدم السجود فافهم وتأمل كمال حال أبينا آدم عليه الصلاة والسلام وقوله ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين مع علمه بجريان الأمر عليه فاصطفاه الله تعالى وقربه واجتباه فباب العبودية كله أدب ولذلك جاءت الطائفة الشريعة هي التزام العبودية فإن العبد محكوم عليه أبدا لأن حكم الشريعة لا يتركه يرفع رأسه بنفسه فما له من حركة ولا سكون إلا وللشرع في ذلك حكم عليه بما يراه كاملا

وفي كل إنسان لسلطان شرعه * قضاء يرى كالسهم ليس له رد

ولكنه أمضى وأرضى ولا يرى * لمرميه من أن يصاب به بد

فليس في الطريق إلى الله تعالى أقرب من باب العبودية لأنه محض ذل وخضوع ورؤية تقصير وإن حصل

الاعتزاز والتكبير وعدم الذل فهو على خلاف الاصل واسم العبودية منسحب عليه سواء كان مطيعا أو مخالفا لان العبد الآبق لا يخرجه اباقه عن الرق وانما يخرجه عن تعاطيه بجهله لوازم العبودية من الوقوف بين يدي سيده لامتثال أوامره ومراسمه فعلم أن العبد لا يخلو أمره في نفسه عن حالين اما أن يشهد قيمته فيحبه الانكسار والتسليم والخضوع واما أن يقام في مقام الاعتراف بسيده فيظهر عليه العجب بذلك والنخوة كقيمة الغلام لما زها فقيل له في ذلك فقال كيف لا أزهو وقد أصبح لي ربا وأصبحت له عبدا كما هو الامر في نفسه ولكن الفضل في أن يكون ذلك الامر مشهودا فهاتان الحالتان محمولتان والتحقيق فيهما أن كل موطن طلب ظهور الاعتزاز بالله كالجهاد لا ينبغي أن يظهر فيه العبد الا بالاعتزاز بالله وكل موطن طلب بذاته شهود العبد قيمته لا ينبغي أن يظهر فيه العبد الا بشهود قيمته فافهم هذا الكلام فانه من النفائس والذي أميل اليه الذل لانه على الأصل * واعلم أنه على قدر القرب يكون الخوف من الله تعالى لان جانب العبودية ووقوف العبد عند حده من العجز وجانب الدعاوى خروج لجانب الالوهية ومنازعتها فلذلك كان الخوف لا يفارق قلوب العارفين طرفة عين خوف التحويل والتبديل مع كل نفس لانه لا تقييد على الحق في الدنيا والآخرة فباب الخوف مفتوح أبدا * واعلم أنه ورد في الحديث ميزان يستند اليه علامة الشقاء من الآن نعوذ بالله من ذلك وهو أنه صلى الله عليه وسلم لما ذكر من سبق الكتاب على العبد بالشقاوة أو بالسعادة قالت الصحابة يا رسول الله ففيم العمل فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اعملوا وكل ميسر لما خلق له فلا تقع الامور الا على ما هي عليه في نفسها فقد بين بهذا أسباب الخير وطرقه وأسباب الشقاء والشر وطرقه وجعل السلوك في طريق الخير للبشرى فانظرها في نفسك فان وجدت الامر عندك في باطنك وظاهرك على السواء فتلك البشرى فافرح بها في السعادة فان الله ما يبدلك وان رأيت الخير في ظاهرك ووجدت في باطنك نكتة من شك أو اضطراب فيما أنت فيه من عبادة ووقع لك خاطر يقدح في أصلها مما يخالف ظاهر الفعل فاعلم ان الله تعالى لم يعطك ايمانا ولا نور قلبك بنوره فابك على نفسك أو اضحك فما لك في الآخرة من خلاق فهذا ميزانك في نفسك وأنت أعرف بنفسك وما يخطر لك فيها ولهذا ورد في الحديث الصحيح ان العبد ليعمل بعمل أهل الجنة أي فيما يبدو للناس أي لانه لا يبدو لله منه في باطنه الا هذا الخاطر الذي يقدح في الايمان من الشك العالم به ان الامر الذي هو فيه من الشرع ما هو على ما يعطيه الظاهر هذا هو البلاء المبين وان الرجل ليعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس يعني من المخالفات والذي يبدو لله من باطنه خلاف هذا من نور الايمان والصدق مع الله تعالى في ان هذا الحال الذي هو عليه مخالف لامر الله فيبكي باطنا ويخالف ظاهرا فيبدو لله منه ما لا يبدو للناس وقد أبان صلى الله عليه وسلم في هذا الخبر ما الناس عليهم في أنفسهم فافهم هذا فانه من النفائس * واعلم أنه لا غاية للعبد يقف معها دون معرفة سيده ولا سبيل له الى معرفته حق المعرفة مع الترقي دنيا وعقبى وتنقضي أعمار العارفين وهم مع الحق على أول أقدامهم فلم تف لهم أعمارهم انما تعلقت به هممهم من اقامة حقوق الحق التي عليهم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم سبحانك ما عبدناك حق عبادتك سبحانك ما عرفناك حق معرفتك سبحانك لا نحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك فصلى الله وسلم على معلم الخير وأعبد العبيد فاذا علمت ذلك كنت دائما على عدم الاستقرار في طلب مقام من المقامات لتكون مع الحق تعالى فيه لانه سبحانه وتعالى مع كل شيء لان نسبة العلو والسفل عليه على حد سواء فهو مع عبيده في درجاتهم ودركاتهم كما يليق بجلاله فوجب عليك أن ترضى بجميع أحوالك لان الحق معك فيها فكن أنت كذلك معه فيها لانك مطالب بأن تكون معه لأن تعلم انه معك لانه تحصيل الحاصل فأعلى المقامات من حيث المعية وان اختلفت أوصافها كأدناها على حد سواء اذا شهدت هذا المشهد ولا يلزم منه الامان من المقت والغضب في أعلى الاحوال ولا أدناها الان المحو والاثبات ليلا ونهارا ولا أمان معهما لاحد غير الانبياء ومن أراد الله تعالى فالزم الذل دائما والفقر من كل شيء الى الغني الحميد تكن عبدا ان شاء الله تعالى غير واقف مع شيء من الحظوظ دنيا وعقبى ولا يعرف لك مقام في شيء لانه لا يعرف له مقام الا من وقف معه ومن لا يقف مع شيء لا يعرف له مقام في شيء فهو مستور في الدنيا والآخرة ان شاء

الله

الله تعالى ولذلك قال المحققون تعريف الولي منزلته من غير اذن الهي ولا اذن رباني من هوى النفس بتأويل ظهر له وهي من المزلات لان الموطن الدنيوي لا يقتضي التعريف بالمقام الا للانبياء خاصة اذا أرسلوا وأما الاولياء فحضرتهم العبودية المحضة فهم في ستر مقامهم وحالهم لربهم لا لأنفسهم فعلم أن أعلى طوائف العبيد من لا مقام له وذلك لان المقامات حاكمة على من كان فيها والرجل من له الحكم لا من يحكم عليه فأصحاب المقامات هم الذين انحصرت هممهم الى غايات ونهايات فاذا وصلوا الى تلك الغايات تجددت لهم في قلوبهم غايات أخر فيكون تلك الغاية التي وصلوا بها بداية لهذه الغايات الأخر فحكم عليهم الغايات بالطلب ولا يزال لهم هذا الامر دائما وأما العبيد فما لهم هذا الحكم ولا هذا الحصر لانهم علموا اتساع الحق وانه ليس له غاية في نفسه ينتهي اليها وجوده فلا غاية له في شهوده لان الحق مشهودهم ولذلك كان القطب المحمدي لا يتميز عن غيره الا أنه لا مقام له يتعين فمقامه مقام ونسبة المقامات اليه نسبة الاسماء الى الله تعالى فلا يتعين في مقام ينسب اليه بل هو في كل نفس وفي كل زمان وفي كل حال بصورة ما يقتضيه ذلك النفس أو الزمان أو الحال فلا يستمر تقيده فان الاحكام الالهية تختلف في كل زمان فيختلف باختلافها وهو عز وجل كل يوم في شأن فكذلك المحمدي فاذا علمت ذلك فلنذكر جملة من أحوال السالكين ومقاماتهم الساقطة بالعبودية لتعلم أن العبودية هي المرادة منك وانها أقرب الطرق وأخص مراتب الانبياء والصديقين ولذلك لما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أن يكون نبيا ملكا أو نبيا عبدا اختار العبودية وقوله أنا سيد ولد آدم ولا فخر أي لا أفتخر بالسيادة انما الفخر لي بالعبودية لله تعالى ولاجلها كان الايجاد وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وأيضا فانه ما قال صلى الله عليه وسلم ذلك الا لعلمه بانه صاحب الشفاعة العظمى ولذلك لما يأتون اليه في القيامة ليشفع يأبى الا هو فقصد تقريب الامر على أمته ليبادروا اليه أولا * واعلم أن روح العبودية علم العبد بانه عبد لله فان العبودية نفسها ليست بمحال قربة لانها تقتضي العبد من وصف السيد لما فيها من الذل والعجز المباينين لرتبة السيادة ولذلك لما حار أبو يزيد في القرب وما عرف بماذا يتقرب الى الحق قال له الحق تقرب الي بما ليس لي الذل والافتقار فنفى عن نفسه الذل والافتقار وما نفاه عنه فانه صفة بعد منه فافهم * واعلم أن العبد ما خلق بالاصالة الا ليكون لله عبدا فيكون عبدا دائما فاذا خلع الله عليه خلعة السيادة وأمره بالبروز فيها برز عبدا في نفسه سيدا عند الناظر اليه فتلك زينة ربه وخلعته عليه وقيل لابي يزيد البسطامي رضي الله عنه في تمسح الناس به وتركهم فقال ليس بي يتمسحون وانما يتمسحون بحلية ربي التي حلاني بها أفأمنعهم ذلك وذلك لغيري * واعلم ان صفاتك ليست من صفات سيدك لتستريح من دعوى ما ليس لك ولا من وصفك وترى أن وصفك انما هو الذل والعجز ورؤية التقصير في جميع أحوالك وان حلت هذا أشرف أحوالك وقد تحير بعض العارفين رضي الله عنه في مشيه شبه المعجب التائه بنفسه فقيل له في ذلك فقال وكيف لا أتيه وقد أصبحت عبدا محضا خالصا لا أعرف للربوبية طعما وهذا مقام عزيز لا يكون الا لواحد زمانه في كل عصر نسأل الله سبحانه وتعالى أن يحققنا بالعبودية وأن لا يحول بيننا وبينها الى أن نلقاه انه على كل شئ قدير فمن ذلك رؤية العبد أنه تائب مما سوى الله تعالى اذا حصلت له هذه الرتبة لان رؤيته هذه تستره فيخرج عن العبودية ويتوب عن هذه الرؤية امتثالا لأمر الله تعالى أن لا يتخذ من دونه وكيلا واذا وقف العبد مع ما منع من العطاء حجب عن المانع وقد قال الشبلي رضي الله عنه حد التوبة أن لا تشهد في الدارين سوى الله تعالى * ألا كل شئ ما خلا الله باطل * ومن ذلك التفكر في ملكوت السموات والارض يشهد الحق فيه لانه طلب حالة ما يكون مع الحق سبحانه وتعالى والعبد يشهد سيده دائما في كل مكان بلا مكان فهو دائم الوقوف بين يديه لا يطلب منه شيأ الا بلسانه ولا يقلبه الا على وجه الذل والفقر عبودية محضة لا ترجيح فيها للعطاء على المنع بوجه فمن ترجح عنده العطاء على المنع أو السعادة على الشقاء فهو في حظ نفسه لم يبرح مع ما في ذلك من الحكم على الله تعالى وهذا لا يدرك الا ذوقا فكم من شخص طلب من الله تعالى شيأ معينا فلما أعطاه أدركه الندم على ما عين وتمنى أن لو لم يكن سال ولا عين وذلك واقع كثيرا في الأمور الرفيعة سواء كانت دنيوية أو أخروية كمن تمنى أن يكون شيخا مثلا فلما أعطاه سالى المشيخة جاءه البلاء وتوجهت

اليه الآمال وتمنى أنه لو كان لم يعرف ولم يتمنى وهو فقير أن يعطيه الله تعالى المال فلما أعطاه طمس قلبه وأعمى
عن الخير وصار يقول هنيأ للفقراء الراضين الذين لا يسألون بما زوى عنهم من الدنيا * واعلم أن كل من كان
مبتلى بالله تعالى أخف ممن كان مبتلى بنفسه على أن بعض العارفين رضى الله عنه قال لا يخرج الأولياء عن
حظوظ أنفسهم اذا كان لهم طلب الى حالة من الأحوال حتى فى حال طلبهم الحق فانه لا يصح أن يطلب الحق
للحق وانما يطلب للحظ فان فائدة الطلب التحصيل للمطلوب والحق لا يحصل لاحد منهم فلا يصح أن يكون
مطلوبا فلم يبق الا الحظ فافهم فليحذر العبد من التفكر الذى لم يؤمر به لانه طلب للحق وللكون وقد علمت ما فيه
وفى الخبر ان الله تعالى احتجب عن العقول كما احتجب عن الابصار وان الملأ الأعلى يطلبونه كما تطلبونه أنتم
فاشتركنا فى الطلب مع الملأ الأعلى ولكن اختلفنا فى الكيفية فمنا من يطلبه بفكر ومنا من يطلبه به وأما الملأ
الأعلى فيطلبه بالعقل وماله الفكر وليس منهم من يطلبه به وسببه كون الكامل منا على الصورة وليس الملك
عليها فلهذا صح من الكامل منا أن يطلبه به ومن طلبه به وصل اليه وانه لم يصل اليه غيره * واعلم ان الذات
مجهولة غير مقيدة بتقييد معين ولولا هذا التغيرت كما أشار اليه الحديث فى قرب محمد صلى الله عليه وسلم ليلة
الاسراء قاب قوسين وقرب يونس وهو من بطن الحوت فى قعر البحار وهما على حد سواء فى القرب مع الحق
فالصعود والهبوط على السواء فحكمه على العرش كحكمه تحت الثرى فان كان ولا بد من التفكر فالتفكر فى نفسه
لقوله تعالى وفى أنفسكم أفلا تبصرون ولا يتعداها الجانب الحق تعالى فان غايته الى الحيرة وكيف يحيط الحادث
بالقديم مع أن الاشتغال بالتفكر وبعدم الشكر فيكون صاحب عذابين وغاية ما يصل المتفكر الى ما ولده فكره
وقد يفهم ذلك من الاشارة عقب قوله تعالى ولم يولد فان كان العاقل مؤمنا كان طعنا فى ايمانه وان لم يكن مؤمنا
فيكفيه أنه ليس بمؤمن فذات الله سبحانه وتعالى لا تدرك بالفكر والعقل لان كل دليل عقلى يقبل الشبهة ولهذا
اختلف العقلاء فكل واحد من المخالفين عنده دليل مخالفه فى شبهة لمخالفه لكونه خالف دليل هذا الآخر فعين
أدلتهم كلها عين شبهتهم فأين الحق وأين العقل وأصل الفساد انما وقع من حيث حكموا الخلق على الحق الذى
أوجدهم مع انه أقرب الى الانسان من حبل الوريد ولا يدرك ولا يعرف الا تقليدا ولولا اخباره بصفاته ما دل
عليه عقل ولذلك قال وهو معكم أينما كنتم ولم يقل وأنتم معه لانه مجهول المصاحبة فهو سبحانه وتعالى يعلم كيف
يصحبنا ولا نعرف كيف نصحبه فالمعية له ثابتة لنا منفية عنه فافهم * واعلم أن علم كل أحد بالله سبحانه وتعالى على
قدر نظره واستعداده وما هو عليه فى نفسه فما اجتمع اثنان قط على علم واحد فى الله من جميع الجهات كما لا يجتمعان
على مزاج واحد كذلك وهنا اسرار يفهمها أهل الله تعالى * واعلم أنه لم يسلم أحد من التفكر فى ذات الله تعالى
مع النهى عن التفكر فيها حتى الغزالى رحمه الله وخطأه العارفون فى جميع ما قاله وهو مسؤل عن ذلك لأنه رجح
عقله عن ايمانه وحكم نظره فى علم ربه وقد حار العارفون رضى الله عنهم فى ذاته سبحانه وتعالى وكذلك خطؤوه فى
قوله ان الله تعالى يعرف من غير نظر فى العالم فان راموا أن يفصلوا نسبة الحق من العالم لا يقدرون وان راموا
أن يجعلوه عين العالم لا يقدرون ولا يتحقق لهم ذلك فهم متحيرون فيقولون فى وقت هو وفى وقت ما هو فلا
يستقر لهم فيه قدم وغالب الخلق الذين يطلبون معرفة حقيقة الذات حائرون فى عمياء يخبطون فيها عشواء وما
ثم نوراء ان تدرج الادلة فيه فغاية المعرفة العجز عن المعرفة كما قال السيد أبو بكر الصديق رضى الله عنه ولعله سبحانه
وتعالى انما أحالنا فى معرفته على معرفة نفوسنا لعلمه انا لا ندرك ولا نعلم حقيقة نفوسنا ونعجز عن معرفتنا بنا فنعلم انا
به أعجز وان قلنا لا نحصى ثناء عليك فهذا الاطلاق يقيد ويقيد بنا الاطلاق فثناؤنا عليه بنا تقييد له من باب
أولى فظهر من تضاعيف الكلام ان الحيرة فى الحق هى عين الوصول اليه واعلم ان البهائم مفطورة على الحيرة فى
الله تعالى فاعلى ما يصل اليه أهل النظر الصحيح وأهل التجلى مبتدأ البهائم لأن أهل النظر يريدون أن يخرجوا
بنظرهم عن الحيرة الى معرفة الحق يقينا فيؤديهم ذلك الى ما فروا منه والبهائم ليس لهم فكر ولا نظر لينتقلوا به مما
عن حال فطرتهم التى خلقوا عليها فأشد الناس حيرة فى الله تعالى أكثرهم علما به ولذلك كان أشد آية على العارفين
قوله تبارك وتعالى سبحان ربك رب العزة عما يصفون لما فيها من التداخل والشبه على من استدل بفكره

وعقله لانه سبحانه وتعالى لا يحكم عليه خلق من عقل وعاقل وانما يعرف الحق من الحق كشفا وشهودا أو وحيا فتكون المسألة منه وشرحها منه ولا يعرف من ليس كمثله شيء وصف شيء بنفسه فكل من وصف الحق بوصف لم يصفه تعالى نفسه فهو قاصر في وصفه لانه رب العزة ولانه وصف لا يقيده نعت ولا يدل على حقيقته اسم والا فليس برب العزة فان العزيز هو المنيع ومن يوصل اليه بنعت أو وصف أو علم أو معرفة فليس بمنيع الحمى فلذلك عم بقوله سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين لأنهم أكمل الخلق معرفة بالله والحمد لله رب العالمين على ذلك الكمال فلا يخوضون في شيء من صفاته الآية * واعلم ان الأدلة العقلية اجتمعت من كل طائفة بل من ضرورات العقول ان لهم موجدا أوجدهم يستندون اليه في وجودهم وهو غني عنهم ما اختلف اثنان في ذلك قط وهو الذي طلب الحق من عباده الافتقار اليه والعبودية أي اثبات وجوده لو وقفوا هنا حتى يكون الحق هو الذي يعرفهم على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم بما ينبغي ان يضاف اليه ويسمى به أفلحوا لكنهم لم يقفوا وخلق الانسان عجولا لانه رأى لنفسه قوة فكرية فتصرف بها في غير محلها فتكلم في الله بحسب ما أعطاه نظره فاخطأ أفافهم ذلك فعلم ان المراد بكلام الصديق السابق العجز عن الحكم على الله بما لا ينبغي له فقط بطريق دليل العقل اما من أخذ العلم به من الله لا من دليله ونظره فهذا لا يعجز عن حصول العلم بالله لانه علم موهوب من حكيم حميد فالقائل سبحان من لا يعرف الا بالعجز عن المعرفة به صاحب علم نظر لا صاحب تعريف الهي فالحق سبحانه وتعالى يعلم ويرى لانه انما خلق المعرفة المحدثة به لكمال مرتبة العرفان ومرتبة الوجود فتأمل هذا المحل فانك لا تجده في كتاب والكلام عليه يستدعي مجلدات وسيأتي في الكلام على مقام المعرفة مزيد بيان * وسئلت عن قوله تعالى الرحمن على العرش استوى فرأيت في عالم الخيال العرش وما حواه علوا وسفلا وأنا داخله فخطف طائر أبيض طويل العنق فالتقط العرش بما فيه فنسبته مع الطائر الذي التقطه بالنسبة لما لا يتناهى من سائر جوانب العرش كالهباء في الكوة اذا فتشته لم تجد شيئا لانه لم يأت في كتاب ولا سنة أن الله تعالى خلق فوق العرش شيئا فليس فوق العرش سقف الى ما لا يتناهى فلا خلاء ولا ملاء وليس تحته قرار الى ما لا يتناهى كذلك وكل هذا مخلوق وقد وقعت فيه الحيرة فكيف بخالقه وكيف يتوهم أن العرش مستقر الحق سبحانه وتعالى تعالى الله عما يصفون والحمد لله رب العالمين * ومن ذلك الحزن فالعبد لا يحزن على فوات شيء لانه لو قسم له ما فاته فان الوقت الذي قسم له فيه طاعة لا يمكن خلوه عنها والوقت الذي قسم له فيه بطالة من كسل وخمول وغيرهما لا خلو عنه ووقت النوم لا يكون يقظة ووقت اليقظة لا يكون نوما وغير الولي لا يكون وليا وهكذا ففي الحقيقة لم يفته شيء قسم له ثم فاته حتى يحزن عليه وانما هو توهم على غير حاصل والوقت الماضي ذهب بما فيه من خمول وكسل والحزن يعطل وظيفة الوقت الحاضر عن كمال الاقبال والعبد مأمور بالاقبال على الله تعالى في كل نفس ولو في أسبابه ويشهد اقامة الله له فيها واعلم أن من حزن على شيء من الدنيا والآخرة لاستبعاد أن ايجاد ضد ما وقع له كان أولى فقد تعرض لمقت الله تعالى لان الحزن سوء أدب معه تعالى فانه طلب لما لم يقسمه له كالتمني المنهي عنه وصاحبه مع نفسه فلو كان مع ربه رضي بكل حالة برزت على يده لانه تحت القهر * واعلم انه ليس في هذا الذي قررناه ترك للأمر بالعمل لان ذلك لا يصح لان قولنا للعبد لا تصل مثلا لا يصح امتثاله الا ان سبق في علم الله تعالى انه لا يصلي ونؤاخذ نحن بأمر بالمنكر وقولنا له صل مثلا لا يصح امتثاله الا ان سبق في علم الله تعالى انه يصلي وحصل لنا وظيفة الأمر بالمعروف والأمر بالعمل باق على وجوبه في كل وقت وكل شيء برز بعد الأمر أو النهي من الموافقة أو المخالفة وهو السابق في علم الله تعالى فان العبد لا يعرف ما سبق له في علم الله تعالى الا بعد وقوعه وأما المحو والاثبات في نفس الأمر فلا علم للعبد به لأنه لا يعلم ما برز على يديه ان كان محوا بعد اثبات أو اثباتا بعد محو ولا يخفى أن العبد يعطي كل ما برز على يديه حقه فما فيه مخالفة للأمر يتوب ويستغفر منه وما فيه موافقة له يحمد عليه ومن فهم معنى قوله صلى الله عليه وسلم كل ميسر لما خلق له حقق هذا الأمر ان شاء الله تعالى ومن ذلك الخوف والرجاء أما الخوف فالمطلوب فيه أن يكون على سبيل الاجلال والتعظيم لله تعالى وتعظيم كل انسان واجلاله بحسب رتبته ومعرفته بالله تبارك وتعالى قال صلى الله عليه وسلم أنا

أعرفكم بالله وأخوفكم منه وأما الخوف المعلوم فهو لأهل الحجب والعبد الكامل لا حجاب له عن سيده ولا مراد له
مع مراده فكيف يخالف امتثاله من عقاب أو غيره ولأن في خوفه هذا احترازا على النفس لدفع مكروه عنها في
زعمه ولا يخفى عجزه عن دفع ذلك عنها مع ما في ذلك من سوء الأدب مع الله تعالى وأما الرجاء فالمطلوب منه أن
يكون على سبيل اظهار الذل والمسكنة لا طلبا للوقوع على ما يرجوه هذا رجاء العارفين رضي الله عنهم لأنهم على
بصيرة من أمرهم فلا رجاء عندهم لشئ وحلاوة المنع عندهم كحلاوة العطاء رضي الله عنهم أجمعين وهذا لا يدرك
الا ذوقا ولأن في طلبه الوقوع لما يرجوه معارضة للحق وتحجيرا عليه في ملكه مع ما فيه من سوء الأدب مع الله
تعالى لأنه طلب ما لم يستحق وجوده وقسمته له كالتمني فهو رعونة نفس واختيار حظها والعبد ليس له مع الله
سبحانه وتعالى ارادة ولا اختيار وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون
فمن ادعى ان له ارادة واختيارا مع الله تعالى حقيقة فهو مشرك مدع للربوبية بلسان حاله وان تبرأ من ذلك بمقاله
لان ما لله تعالى لا ينبغي أن يكون للعبد وقد قال ما كان لهم الخيرة ولا يخفى ان كل من شهد له ارادة واختيارا ليس
له من نسبتهما اليه سوى الاسم كما هو مشاهد عند جميع الفرق فهما فانيان في ارادة الله سبحانه وتعالى واختياره
ولا بأس بهذا الشهود بقصد الاعتراف لله تعالى بالحجة البالغة عليه فان نفي العبد ارادته واختياره يقع في العكس
فيصير للعبد الحجة على الله تعالى نسأل الله تعالى العافية بمنه وكرمه *واعلم ان كل أحد يعلم تقرير هذه المسئلة من
نفسه يقينا لأنه فيها ليلا ونهارا فانه يختار فعل الشئ ولا يقدر على فعله ويكره فعل الشئ فيفعله على رغم أنفه
ويتكدر لذلك ومن كابر في هذا فهو مكابر في المحسوس *واعلم انه ليس من الاختيار المذموم الاختيار الذي هو
ملازم الفعل لان ذلك من لازم العبودية اذ لا يصح امتثال الأمر واجتناب النهي الا بعد توجه القلب للفعل
أو الترك فلا يتصور الفعل من غير اختيار الا في المكره وحركة المرتعش فلو خرج العبد عن العبودية بهذا
الاختيار تفسخت عزائم العبد في كل شئ يراده منهم ثم اعلم انه ليس من الأدب أريد ان لا أريد كما يقع ذلك
لكثير من الفقراء لان هذا ارادة بل الأدب ان يقول أريد ما يريده هذا هو الذي تعطيه حقيقة الانسان فكما
ارادة الشرع يريده فيتصف بالارادة لما ارادة الشرع خاصة فلا يبقى له غرض في مراده معين لان جميع مختارات
الشرع وترتيباته ليس للعبد فيها اختيار لاندراج ارادة العبد في ارادته فلا ينخدع عاقل قاصر عن درك الحقيقة
ويظن ان الوظائف والاوراد ورواتب السنن يخرج بها العبد عن صريح العبودية لأن كل شخص مخاطب
بالخروج عن ارادته واختياره لارادة الشارع واختياره فافهم ولعل هذا هو المراد بقول أبي يزيد رضي الله عنه
أريد ان لا أريد وبقول أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه ان يصل الولي الى الله تعالى ومعه تدبير من تدبيراته
أو اختيار من اختياراته فافهم وتأمل هذا الموضع فانك لا تجده في كتاب *ومن ذلك الزهد في حظوظ الدنيا
والآخرة لأن رؤيته كونه زاهدا فيها يحجبه عن سيده ولأن العبد ناظر الى تصرف سيده في العطاء والمنع والأخذ
والترك فلا يرى أنه ترك شيأ ولا أخذ شيأ ولأنه لا يصح ان يزهد فيما قسم له وما لم يقسم له لا يحتاج في تجنبه الى الزهد
فيه لانه ليس له فالزاهد قسم الله له عدم الميل الى تحصيل ما لم يطلبه فاراحه من التضييق في معيشته من الازل
بالنسبة لما لم يحصل له لحكمة يعلمها ثم مدحه فضلا منه كسائر النعم التي أعطاها العباد والبسها لهم والراغب
قسم له ما رغب فيه من وسع المعيشة وذمه عدلا منه سبحانه وتعالى فالعارفون عرفوا الوجه في ذلك والجاهلون
وقفوا عند المدح وفرحوا به ولكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولان جميع ما يرى الزاهد انه تركه من الدنيا بتقدير
كونه له لا يساوي عند الله تعالى بعض جناح بعوضة فلا يصلح أن يكون تركه كبير قربة الى الله تعالى الا من
حيث اتيانه بصورة الصفة المحمودة عنده تعالى ولا يخفى أن زهد كل انسان على حسب رتبته عند من يقف معه
ويرى انه زاهد فزهد الانبياء عليهم الصلاة والسلام وورثتهم في أمور لا يذوقها غيرهم كل على قدر حظه ونصيبه
فلا سبيل لنا الى الكلام على منازلهم لأنه لا ذوق لأحد منا في مقامات الانبياء الا نبي أو رسول ولا في مقام الوارثين
الا رسول أو نبي أو ولي أو من هو منهم هذا هو الادب الالهي فلا تعرف مراتب الرسل الا من الختم العام الذي
يختم الله تعالى به الولاية في آخر الزمان فكل عن مقامه يترجم وما منا الا له مقام معلوم ثم الجار بكم ترجعون

واعلم

واعلم انه لاينافى مقام أهل الزهد تجارتهم وبيعهم وسفرهم فى أمور الدنيا الظاهرة لان دنياهم لآخرتهم وآخرتهم لربهم وعلى ذلك يحمل أصحاب التجارات والأموال من الصحابة والسلف الصالحين واليه الاشارة بقوله تعالى رجال لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وبقوله وابتغوا من فضل الله وغيرهما من الآيات ولاينافى هذا قوله تعالى فى حقهم آية أخرى منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة لان المراد منكم من يريد الدنيا أى للآخرة بذلا وايثارا ومنكم من يريد الآخرة أى لفضل الجهاد لاغير ولم يطلب غنيمة ولم يلتفت اليها فان الصحابة الفاضل والافضل والكامل والاكمل فاحذر أن تظن بهم غير ذلك فتهلك واحذر من الانكار على المتسببين فى الدنيا من اخوانك وغيرهم اذا كنت متجردا عنها لان الغالب عليهم عدم الدعوى ورؤية التقصير واعترافهم بفضل المتفرغين لطاعة الله سبحانه وتعالى والغالب على المتجردين من غير أهل الطريق الكبر والرياء والاعجاب والتزين للخلق بطاعة الله تعالى استحلابا لما فى أيديهم وعلامة ذلك ذمهم الناس والاخذ عليهم اذا لم يلزموهم وعيبهم الناس اذا لم يخدموهم كما يشاهد منهم حين يسألون أحدا حاجة فلم يقضها فانهم يجدون استبعادا فى باطنهم كأنهم يطلبون على عبادتهم أجرا من الناس فالذى يخدمهم يحبونه ويقربونه ويبشون فى وجهه ولا يستثقلون جلوسه عندهم والذى لايخدمهم يفعلون معه ضد ذلك * ومن ذلك الورع عن كل مايشغل عن الحق سبحانه وتعالى فمن رأى نفسه فى ذلك شغل عن الحق تعالى ولأن العبد راض بما أقامه سيده فيه فاعلى المراتب كادونها عنده اذا شهدها منه ولأنه سبحانه وتعالى معه فى كل حالة على حد سواء وشهود العبد وهم منه لجهله ولان كل حالة يكون للعبد فيها طاعة ومعصية هى المراد منه وان خالف الأمر فهو مطيع للارادة ولذلك قال العارفون رضى الله عنهم لايتوقف الفتح على الطاعة فقد يفتح فى غير الطاعة أعظم مما يفتح فيها فان الفتح جود ومنة والاعمال للجزاء فى الدار الآخرة * واعلم ان من المحال ان يأتى مؤمن معصية توعد الله تعالى عليها بالعقوبة الا ويجد بعد الفراغ الندم على ماوقع منه وفى الخبر الندم توبة فلا يتصور ترك الندم للمؤمن المعاصى فلابد أن يكره المخالفة ولايرضى بها فهو مؤمن بانها معصية ويصدق عليه قوله تعالى خلطوا عملا صالحا وآخر سيأ فالعمل الصالح ايمانه بانها معصية والعمل السئ كونه فاعلا * واعلم ان العبد اصغر قدرا واحقر من ان يخالف الله سبحانه وتعالى باطنا وظاهرا مستقلا ولا ارادة سابقة لان ذلك انما يكون للعبد المستقل بما يعمل وذلك محال لجميع الخلق ولو ادعوا الالهية تحت القهر والقضاء السابق لايخرجون عنه انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا فتسمية الخلق عصاة ومخالفين انما هو بحسب الامر الظاهر وفى الحقيقة لايخرج أحد عن طاعته فيما يريده منه فمن أراد له طاعة الأمر لايمكنه المخالفة ومن أراد له معصية الأمر لايمكنه الطاعة ومع معرفتنا لهذا الامر نقوم بما كلفنا به من الأمر بالمعروف لمن خالف الامر بالارادة أيضا فقد يريد منا السكوت على المنكر فلايمكننا النطق بالنهى عنه وقد يريد منا التغيير له فلايمكننا السكوت عليه وهذا مشاهد كثيرا فالعبد تحت تصاريف الاقدار وأحق ما اتصف به العجز وأحسن أحواله الاعتراف بالتقصير فى جميع مقاماته مع الله سبحانه وتعالى * واعلم ان من كمال الوجود ارادة الحق ان يكون فى عباده المخالفة والمعصية فالنقص من ذلك نقص فى العالم لقوله صلى الله عليه وسلم لولم تذنبوا وتستغفروا لذهب الله بكم وجاء بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم وانما لم نأمر بعضنا بالمعاصى والفساد اذا كان نقصا من الوجود أدبا مع الله تبارك وتعالى لأنه تعالى يقول ان الله لايأمر بالفحشاء ان الله لايحب المفسدين ونسب الأمر بذلك الى الشيطان فى مثل قوله الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء وأمثالها لأنه منزل هذه الدار يتسع فيه أوساخ النسب وهى نسبة اضافة واسناد لانسبة خلق وايجاد قل كل من عند الله فمال هؤلاء القوم لايكادون يفقهون حديثا ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك والمراد من الله خلقا وايجادا ومن نفسك اضافة واسنادا فافهم فتعالى الله أن يكون فى ملكه مالا يريد ولم تزل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام تضيف الفعل المؤذى الى نفسها والحسن الى الله تعالى أدبا مع الله تعالى الأمر عليه فقال الخضر عليه السلام فأردت ان أعيبها وقال فأراد ربك أن يبلغا أشدهما فأضاف العيب الى نفسه

والمحاسن الى ربه وقال ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام واذا مرضت فهو يشفين فأضاف المرض الى نفسه
والشفاء الى ربه ولم يقل أمرضني وقال نبينا عليه الصلاة والسلام والخير كله بيديك والشر ليس اليك فالتزم صلى الله
عليه وسلم أدب التعبير مع علمه بان الله تعالى خالق الشر وانما قلنا ان وجود المعصية من خلقه تعالى ليظهر فضله
على خلقه وحلمه عليهم ولطفه بهم مع كثرة عصيانهم ومخالفتهم بخلاف مالو كانوا كلهم مطيعين فالعاصي داخل في
سياج الارادة لم يخرج ولهذا قال شيخنا رضي الله عنه لا يتخلص اثم من معصية محضة قط فلا بد أن يشوبها طاعة
وهي موافقة الارادة ومرادنا الموافقة في حال فعلها لأن أهل الله سبحانه وتعالى يشهدون جريان الاقدار عليهم
فيبادروا لامتثالها ليستوفوا القدر الذي لا مرد له ولهم حجاب رقيق يعرفونه يغشاهم لا يمكن التعبير عنه لأنه
لا يصح من أهل الشهود مخالفة للحق مطلقا وقد ورد انه صلى الله عليه وسلم قال اذا أراد الله امضاء قضائه وقدره
سلب من ذوي العقول عقولهم حتى اذا امضى فيهم قضاءه ردها عليهم الحديث فلا بد من ان الحق سبحانه وتعالى
يزين لهم ذلك العمل المخالف بتأويل يقع لهم فيه وجه الحق لا يقصدون به انتهاك الحرمة فاذا وقع منهم المقدر أطلعهم
الله على فساد ذلك التأويل الذي أداهم الى ذلك الفعل وتقدم تقرير ذلك في الكلام على معصية آدم فراجعه
وبالجملة فهذا مسلك ضيق يذاق وأما من تخلف شهوده لذلك عند الفعل فهي معصية محضة في زعمه شديدة القبح
لقوة جراءته حينئذ على مخالفة الله تعالى ومعصيته وذلك قدح في الخطاب والتكليف ومباهتة للحس واعلم انه
يقع للسالك في حال نقصه علة شهود الفعل لله تعالى فيقول ما عصى الله تعالى أحد ولا أطاعه أحد بل الامر كله لله
وهو قوله واليه يرجع الامر كله لانه يشهد افعال العباد خلقا لله تبارك وتعالى والعبد محل لذلك الخلق فيه أو به أو
عنده على حسب ما يعطيه نظر كل ناظر لان كون الافعال طاعة أو معصية ما هو عينها وانما ذلك حكم الله تعالى فيها
فمؤاخذة العصاة بما فعلوا لانهم سبب في ايجاد المعصية واقامة نشأتها وهي معصية في حقهم لكن انشأت مطيعة لله
تعالى تستغفر للسبب الموجب لها لوجودها ولا علم لها بكونها طاعة أو معصية لانها غير مكلفة وما في العالم الا منشأ
صور أعمال متعدية في الشرع لطاعة أو معصية فلا طاعة ولا معصية فاذا انشأت فلا غذاء لها الا التسبيح بحمد الله
وتسمى هذه حضرة الأفعال لأنه يتساوى عنده الطاعة والمعصية ولا يسعه غير هذا ولما دخلتها حاصني الله تبارك
وتعالى فيها من تناول ما حرمته الشريعة في مدة يسيرة وساعدني على ذلك ما عندي من العلم بتفرقة الشارع بين
الطاعة والمعصية وان كان الكل فعله فان غالب من يكون فيها من لم يكن عنده علم بذلك يصير عند صاحبها
نعيم لا يعادله نعيم لانه يصير لا خوف عنده ولا رجاء واعلم ان العبد لا يقدر على تخليص الفعل بجانب الحق تعالى
لارتفاع حكم الخطاب بالتكاليف ولانه لا يأمر وينهى الا من له قدرة على فعل وقد ثبت التكليف للخلق
بالاوامر والنواهي وكون الانسان خلق على الصورة من الاستخلاف على غيره ويؤيد ذلك أنه حينئذ يطلب
وجود الفعل له والحق يشهد له ولذلك قال بعض مشايخنا بالميل الى الكسب جزما لأنه أقوى في الدلالة ولا يقدح
فيه رجوع كل ذلك الى الله سبحانه وتعالى بحكم الاصل فانه لا ينافيه هذا التقرير فاضعفت حجة القائلين
بالكسب عند من لا يقول به من كونهم قائلين بالكسب لان ذلك لا خلاف فيه عند الفريقين لانه خبر شرعي
وأمر عقلي وانما ضعفت حجتهم من نفيهم الأثر عن القدرة الحادثة فافهم وكذلك أيضا لا يقدر أحد على تخليص
الفعل لجانب الخلق لا من طريق النقل ولا من طريق الكشف وجميع شرائع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام
على هذا الحكم فلم تأت شريعة بتخليص العمل لأحد الجانبين لانك ان نسبت الفعل الى قدرة العبد كان
لذلك وجه في الأخبار الالهية وان نسبت الفعل الى الله تعالى كان لذلك وجه فيه أيضا وأما الأدلة
العقلية فهي متعارضة وان كانت غير متعارضة في نفس الامر وايجاد الفعل لا يكون بالشركة وهذا لم
يلحق المعتزلة بالمشركين لانهم أضافوا أفعال العباد للعباد فما جعلوهم شركاء وانما أضافوا الفعل اليهم
عقلا وصدقهم الشرع في ذلك والاشاعرة أضافوا فعل الممكنات كلها من غير تقسيم لله عقلا وساعدهم
الشرع على ذلك وهذا أقوى عند أهل الكشف من أهل الله تعالى فعلم ان هذه مسألة لا يتخلص فيها توحيد لجانب
البتة فيقرر كما أقرها الله تعالى فلا بد لك في مثل قوله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى من عينين عين

تبارك

تدركها أن الرمي لله تعالى وعين تدركها أن الرمي للعبد وصاحب العين الواحدة أعور من فقير وغيره فلا يعلم حقيقة هذه المسئلة الا أهل الكشف خاصة وأما غيرهم فيزلون مختلفين دنيا وأخرى غير أن الجنة لا نزاع فيها كالدنيا الا أن كل واحد يعذره الحق على اعتقاده فما في المسائل الالهية ما يقع فيه الحيرة أكثر ولا أعظم من مسئلة الافعال المحمودة والمذمومة لاسيما في الكلام على تحقيق ذلك وهنا يقال بوجوب الايمان بطريقين متناقضين وهو من أعجب الامور فاذا علمت جميع ما قررناه علمت ان حجة الله لم تزل قائمة على عبده في كل حالة هو فيها لو أوأخذه ضالا لأن العلم تابع للمعلوم وما هو حاكم على المعلوم فاذا قال العبد لم تؤاخذني قال له الحق وهل آخذتك الا بما أنت عليه في حال عدمك فما أبرزتك في الوجود الا على قدر ما أعطيتني من ذاتك بقبولك فيعرف العبد أنه الحق فتندحض حجة الخلق في موقف العرفان فاعتراف العبد بالعجز والتقصير أولى به في كل أحواله فتأمل في هذا المحل فانك لا تجده في كتاب * ومن ذلك رؤيته كونه من أهل التبتل وهو الانقطاع الى الله تعالى دون غيره من الانام على وجه الارث عنه صلى الله عليه وسلم وهو أي الفقير لم يصل الى ذلك لأنه نازع الى طلب قرب ووصول وطلب الحق من جهة مخصوصة وحال مخصوص سواء كان بالخلوة والجوع أو بغيرهما لأن العبد الكامل لا طلب له في سكونه وحركته وعزلته ومخالفته وقد قال سيدي أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه من أقبح الذنوب عند بعض أهل الله تعالى التعلق بالطاعات والاوراد لنيل قربه أو غيره وقد جف القلم بما هو كائن ولا تقوى تقي تزيده ولا فجور فاجر ينقصه فاعبد الله مخلصا له الدين ألا لله الدين الخالص اذا علمت ذلك فدعوى المتبتل منا أنه خرج عن كل ما سوى الله الى الله جهل محض لأنه يتخيل ان العالم بمعزل عن الله والله بمعزل عن العالم وطلب الفرار الى الله بحسب ما تخيل وهمه وسبب ذلك عدم الذوق للأشياء وكونه سمع في القرآن ففروا الى الله وهو صحيح الا أن الفار بهذه المثابة لم يحصل بالله الى ما ذكر الله في الآية التي عقبها وهو قوله ولا تجعلوا مع الله الها آخر فلو عرف هذا عرف ان المراد بالفرار أن يفر من الجهل الى العلم لا غير لان الحق أقرب اليه من نفسه وهو مع كل شئ على حد سواء وبالجملة فحكم الفار من الخلق اذا حصل له صفاء قلب ورقة حجاب حكم الرطب المعمول بخلاف من وهبه الله سبحانه وتعالى الاشتغال به عن سواه فان حكمه كالرطب الجني كما قال قوله تعالى وتبتل اليه تبتيلا فافهم ذلك وبالله التوفيق * ومن ذلك رؤيته كونه من أهل المراقبة لله تعالى فتحجبه الرؤية عن المراقبة فاذا كان يشهد أفعاله صادرة عن سيده فمراقب فيماذا وكيف يصح من العبد مراقبة والله رقيب على مراقبته وعلى كل شئ فرؤية التقصير أولى بالعبد فان حصل له مراقبة لا يقف معها وان لم تحصل له لا يطلبها لأنه لا يعلم ما فيه صلاحه فقد تكون الغفلة أولى لعدم خلوصه من الدعوى في اليقظة وقد تكون اليقظة أولى له كما يشاهد ذلك أهل الله تعالى في جميع أعماله معهم ولا يدرك هذا الأمر الا بالذوق فافهم والتسليم أسلم وان جادلوك فقل الله أعلم ومن ذلك رؤيته كونه من أهل العبودية لأن العبد غائب عن رؤية عبوديته شغلا بربه لأن الله تبارك وتعالى عليه في كل وقت رؤيته سهم من العبودية يطلبه منه بحكم الربوبية فأين فراغه لغير ذلك ولأن العبد لا يرى انه أعطى شيأ من النعم الظاهرة والباطنة بسبب عبوديته لأنه غارق في نعم سيده فلا يتأتى من جانبه عوض يقابل به المنة لأنه مفلس على الدوام وجميع أعماله خلق الله تعالى وقوله تعالى جزاء بما كنتم تعملون ونحوها من الآيات محض فضل كأصل العمل واذا كان نسبة العمل الى العبد فضلا فاثر الفعل من باب أولى فمواهب الحق لا تتوقف على العلل واليه يرجع الأمر كله كما بدأنا أول خلق نعيده * ومن ذلك رؤيته كونه مخلصا أو شهود غيبته عن هذه الرؤية بشهود اقامة الله تعالى له في الاخلاص من غير تعمل وهو الدين الخالص وما قام له مخلص فالخالص قام في العبودية من غير استخلاص وصاحبه ليس من العباد الذين أمروا أن يعبدوا الله مخلصين اذ لا عمل له في الاستخلاص لأنه لم يعرف الا هذا الدين الخالص من غير شوب خالطه حتى يستخلصه منه فيكون مخلصا فهذا لم يذق له طعما مثل ما ذاقه الغير ومن كان هذا حاله من الدين فهو صاحب العمل الخالص فلا يشقى لانه لا يعرفه أشقاه الا أهل المكابدة والاجتهاد في استخلاص الدين فان أمرهم الله تعالى أن يستخلصوه منه وليس على الحقيقة الا هوى أنفسهم وانما كان العبد غائبا عن جميع النسب والدعاوي لانه لا يرى له نسبة في شئ لأن جميع

ما يجريه الله تعالى على يديه ليس منه شيء والله خلقكم وما تعملون ولان العبد انما يعمل لنفسه فكيف يطلب أجرا على عمله لان من خاط لنفسه قميصا مثلا لا يحسن منه أن يطلب أجرته من أحد بل يستخف الناس عقله وكذلك الحكم فمن يشهد الفعل محضا لله تعالى فافهم فالعبد انما وظيفته امتثال أمر سيده واجتناب ما نهاه عنه بمعونة الله تعالى ولا يخفى أن من يشهد أفعاله خلقا لله تعالى يهون عليه أمر الخلاص وعلاجه وتنقية العمل مما يشوبه لأن الشخص اذا أهدى الملك صنعته بلا تغيير وتدليس منه لها فلا عتب عليه مادام يشهد هذا المشهد وهذا لا يدركه الا ذوقا فمن جهة كون الفعل فعل الحق سبحانه وتعالى لا عتب عليه وهو في غاية الكمال ومن جهة كونه على يد العبد بروز وتدنس فهو مأمور بتنقيته مما يشوبه ولا يصح له ذلك أبدا فغايته صورة الاخلاص في العمل ان يقف العبد كشفا على أن الفاعل لذلك العمل هو الله سبحانه وتعالى كما هو في نفس الأمر أي عمل كان وكون ذلك العمل محمودا أو مذموما فذلك هو حكم الله سبحانه وتعالى فيه ما هو عين العمل وأما اذا أهدى العبد للملك صنعة نفسه فانه يحسنها جهده بل ذلك واجب على العبد مادام يشهدها منه فاذا علمت هذا فكل عبادة وقعت على يديك معلولة برياء وغفلة فمن الادب اذا أعدتها ان لا تنوي بها تدارك الخلل الواقع في العبادة وتستدرك بتلك عبادة الوقت الماضي وقد ذهب بما فيه وهذه عبادة الوقت الحاضر بل انو بها امتثال الامر لقوله تبارك وتعالى ألا لله الدين الخالص وصلاتك أبدا لا تسلم من الخلل ورؤيتك الكمال في الصلاة المعادة خطأ منك لان الفعل الخالي من الخلل صلاة كانت أو غيرها من خصائص رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعترافك بالنقص والتقصير أولى دائما ولو في أعلى المراتب فافهم ذلك * ومن ذلك رؤيته كونه من أهل الاستقامة ومن أين للعبد ادعاؤها وسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم يقول شيبتني هود وأخواتها قال بعض علماء الصحابة رضي الله عنهم لا أرى ذلك الا من قوله تعالى فاستقم كما أمرت فافهم ذلك وان شهد العبد الاستقامة فهي منة من سيده سبحانه وتعالى لانه هو المقيم له في الاستقامة فلا ينبغي للعبد ان يقف مع هذه الرؤية فيحجب * واعلم أن من الاستقامة ترك الدعوى سواء كان المدعي محقا أو مبطلا ظاهرا أو باطنا * ومن ذلك رؤيته كونه من أهل التوكل لأن هذه الرؤية للعوام وأما العبد الخالص فقد علموا ان الحق تعالى وكل جميع الأمور الى نفسه فليس للعبد من الامر شيء فكيف المالك على ملكه مع انه سبحانه وتعالى أعلم بالمصالح ومواضع الانفاق الذي لا يدخلها حكم الاسراف ولا التقتير فمن جعله وكيلا بهذا الوجه فلا بأس فالعبد الخالص ترقوا عن هذا التوكل المعلول فتوكلهم شهودهم ان الامر لم يزل موكولا اليه سبحانه وتعالى وقولهم توكلنا على الله أو وكلنا أمرنا الى الله امتثالا لامرهم بأن يقولوا ذلك تعبدا وخضوعا واقرارا بالعجز عن ان يملكوا من أمرهم شيأ وأما الذين لم يشهدوا ان الامر كله لله من العوام فتوكلهم جعلهم الحق تعالى وكيلا في أمرهم ولا يخفى ما في هذا من سوء الأدب لكن ذلك ان شاء الله تعالى جائز لامثالهم فيخاطبون على قدر عقولهم لأنهم يوكلون المالك على ملكه ولا يدرون غير ذلك فهم يخيلون ان الملك لهم وانهم أصحاب الاموال لتوهمهم ان اضافة الحق سبحانه وتعالى الاموال لهم بقوله أموالكم اضافة ملك ولم يعلموا ان تلك الاضافة كاضافة سرج الدابة وباب الدار وأيضا فان الحق سبحانه وتعالى لما تنزل لهم ولعقولهم من كبريائه وتبرع بكونه وكيلا لهم أورثهم هذا التنزل الادلال فغفلوا من لذته عن الادب معه فتجوزوا عليه وجعلوه وكيلا لهم وسلوك الادب أولى من الانبساط لان الانبساط يجر الى المقت ومن ادعى القرب مع الله تعالى مع الادلال فلا علم له بمقام التقريب لأن الادلال على الله تعالى لا يصح من المقربين ومن كلام بعضهم من مرتبته الادلال ماله وللدلال ويقال للمتوكلين فيماذا وكلتم فيه ربكم ان وكلتم الأمر له فبماذا ولوه فالأمر له قبل ان توكلوه اليه وان وكلتم اليه ما رأيتم انه لكم فليس لكم من الأمر شيء فافهم والله يتولى هداك وهو يتولى الصالحين * ومن ذلك رؤيته كونه من أهل التفويض وهو معلول أيضا لان الأمور كلها بيد الحق سبحانه وتعالى فأي معنى لتفويض العبد الامر اليه تبارك وتعالى والامر لم يزل مفوضا اليه قبل العبد ومعه وبعده فتفويض العبد شهودهم ان الامر لم يزل مفوضا اليه فهم متبرؤن من ملك ما نسب الحق اليهم من الامور معترفون بالعجز هذا معنى قولهم فوضنا أمرنا الى الله ولكن ضاقت عليهم العبادة

لأنهم

[illegible]ئلون أمر سيدهم بهذا القول من غير نظر وفكر الى ماذا أرادبهم لانهم علموا من الحق سبحانه وتعالى ان
[illegible]ماله عين الحكمة فلا تتعلل بالحكمة اذلو تعللت أفعاله بالحكمة لكانت الحكمة موجبة له فيكون الحق
[illegible]وله وهو محال ولذلك كان ليس لهم نظر الى عاقبة فعلهم وكل عن مقامه يتكلم فافهم *ومن ذلك رؤية
[illegible] أهل الثقة بالله تعالى ولا يخفى انها معلولة لانها خلاصة مقام التوكل المعلول والتفويض المعلول
[illegible] الخالص لما شهدوا ماقسم لهم فى الازل أغناهم عن الطلب وعن التوسل بالوسائط وان توسلوا بها فهم غير
[illegible]ها فلا تحجبهم عن سيدهم لانهم يشهدون أنه لابد من الوسائط للحكمة الالهية السابقة لاسيما بعد وقوع
[illegible] كلما أبرزه الله تعالى تبين انه كان لابد منه وكل واسطة قائمة بالمرتبة التى جعلها الحق سبحانه وتعالى
[illegible]ه فلا يمكن قضاء تلك الحاجة التى هى واسطة فيها الا من بابه فلا يسع العارفين ان يأتوا الامن الباب أدبا مع
[illegible]لى قال الله سبحانه وتعالى وأتوا البيوت من أبوابها فلوطلبوا قضاءها من غير واسطة عكسوا الحكمة ولم
[illegible] هذا فيما كشف لهم انه لا يقضى الا بالواسطة أما ما علموه انه لا يتوقف عليها فلا تحجر عليهم فيه هذا حكم
[illegible] وأما العوام فانهم واقفون مع الوسائط دائما فى جميع أحوالهم ولا يشهدون غير ذلك جملة وهذا أحدهم
[illegible] فى أول دخولى فى طريق المحبة للقوم انى كنت لا أرى منة للخلق فى شئ وانما أرى المنة لله سبحانه
[illegible] وحده ولو جاءنى شخص بطعام شهى لذيذ أو بماء بارد بعد شدة الجوع والعطش لا أشهده ولا أرى له
[illegible] رؤية المنة منه شركا وقلة أدب مع الله سبحانه وتعالى ثم خلصنى الله تعالى منه وأطلعنى على الحكمة
[illegible] الوسائط فعلمت انه لابد منها فصرت أرى لها المنة نسبية وأرى الوسائط كلها من جملة نعم الله على
[illegible] ذلك الحال لا أدعو ولا لغيرى حتى فى صلاة الجنائز ولا أقدر أنطق بذلك كما لا أقدر أنطق بكلمة
[illegible] لغلبة شهود السوابق التى جف القلم بها وكنت أعطيت قوة الادلة على ذلك والاستنباط ولو أتونى بالف
[illegible] أخرج لها وجوها وكنت أرى الحق أقرب الى منى ولا أجد للواسطة محلا ثم خلصنى الله من هذا بعد أيام
[illegible] الله تعالى وقد مكث بعض العارفين عشرين سنة لا يتجرأ أن يسأل ومودى اسألها عبودية لا ترجيح فيما
[illegible] على المنع فدعا حينئذ اذا علمت ذلك فالانبياء عليهم السلام مبرؤن ممن يقف من أممهم دون الله
[illegible] تعالى لانهم انما كانوا يدعون الخلق الى الله تعالى لا لأنفسهم فهم طريق لنا فى حصول الاحكام المتوجهة
[illegible] كاللطف المقربة الى الله تعالى والمبعدة عنه فقط وليسوا مفيضين علينا الامداد بالاصالة أزلية من الله
[illegible] فالوسائط كالقناة الجارى لنا منها الماء الحقيق بالجنس من أجرى القناة فان أمرنا السيد سبحانه وتعالى
[illegible] بالثناء على الوسائط امتثلنا أمره من غير وقوف معها الا ان هذا الوقوف عند العارفين سوء أدب مع الله تعالى
[illegible] اذ قال الله ياعيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله الآيات فافهم ذلك والله يتولى
[illegible] وهو يتولى الصالحين *ومن ذلك رؤيته كونه من أهل التسليم ولا يخفى أنه للعوام لان حقيقته فى عرف
[illegible] التسليم مادون الحق الى الحق ولا يخفى مافيه من الجهل والدعوى لانه لا يملك شيأ من باطنه ولا من ظاهره
[illegible]ه والعبد الخالص لما شهدوا ذواتهم وصفاتهم وجميع الكائنات فى قبضة الحق يتصرف فيها كيف
[illegible] يجدوا شيأ خارجا عنها فيسلموه له فلذلك سلموا من رؤية التسليم ودعواه ولا يخفى ان تسليم الانبياء عليهم
[illegible] الصلاة والسلام ورثتهم لا كلام لما فيه لان ذلك فى أمور لا يذوقها غيرهم ولا شك ان صفاتهم من أعلى مراتب
[illegible] الخلق مع تفاوت مراتبهم فيما بينهم *ومن ذلك رؤيته كونه من أهل الصبر لان فى ذلك دعوى قوة الثبات
[illegible] والـ لا باوليس لماسوى الله تعالى قوة أصلا لان القوة لله جميعا والعبيد الخالص لما شهدوا عجزهم فى
[illegible] ردوا الاشياء الى الله تعالى والصابرون لما رأوا صبرهم ردوا الاشياء الى نفوسهم واثبات صفات النفس
[illegible] والصفات المحمودة فى طريق الخواص منكر مناف للتوحيد عند من يرى انه موحد *واعلم ان من
[illegible] الأدب أن يتلقى العبد البلاء من المبلى ولا يستند فى انتهاء البلاء عنه الا لمن أنزله به وهو الله سبحانه وتعالى والبلاء
[illegible] من وجود الالم واحساسه به لا غير اذا علمت ذلك فقد غلط كثير من أهل الطريق فحبسوا نفوسهم عن
[illegible] الشكوى الى الله تعالى فيما نزل بهم وشبهتهم فى ذلك انهم يقولون لا نعترض على الحق فيما يجريه علينا لانه

يؤثر في حال الرضا عنه اذ لا يعلمون انه قد حصل مقام الرضا بمجرد الاحساس بالبلاء وعدم طلب دفعه هذا
حده وأما استحبابه فلا يشترط لأن النفس كارهة لوجود الالم ولذلك عبرنا أول الكلام بالالم لا بسببه الذي
هو البلاء فافهم واسأل الله أن يرفع عنك ما نزل بك لما يؤدي اليه البلاء من كراهة فعل الله سبحانه وتعالى بك
ولهذا وقع من الاكابر رب اني مسني الضر اذا علمت ذلك فمن الأدب ان ترجع بالشكوى الى الله تعالى اذا
كوشفت بالاجابة في السؤال والاجابة رجوع أيوب عليه السلام أدبا مع الله تعالى حتى لا يقاوم القهر الالهي
كما يفعله أهل الجهل بالله مدعين في ذلك انهم أهل تسليم وتفويض وعدم اعتراض بجهلهم وابن جهلتين واعلم
أنه قد وقع أيضا التعليم لنا في السؤال بقوله تعالى ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به فافهم ذلك والله يتولى هداك وهو
يتولى الصالحين * ومن ذلك رؤيته كونه من أهل الرضا بما قسمه الله له في جميع الأحوال لأن هذا الرضا فرع
من الارادة والعبد لا ارادة له في جميع الأحوال مع الله تعالى والاختيار وتقدم تقرير هذا بشروطه في جميع الرضا
فراجعه ولذلك كان العبد لا يرى لنفسه سخطا ولا رضا ولا يرجح شيئا على شيء ولا يؤثر حالا على حال فهو راض عن
الله تعالى في كل حالة هو فيها وان كانت معصية في الشرع فيرضى بها من حيث كونها فعل الله تعالى ويتوب
منها ويستغفر من حيث كونه اكتسبها وخالف أمر الله تعالى بعد أن نصب له الدلائل وأرسل اليه الرسل وخلق
له العقل فالعبد يرضى بالقضاء لا بالمقضي ولا يرضى لعباده الكفر ان الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا
تعلمون وكذلك قال بعض العارفين ينبغي للعبد أن يكون حيا في أفعاله الظاهرة والباطنة في الأمور التي يتعلق
بها النهي الالهي ويكون ميتا بالتسليم لموارد القضاء في كل ذلك لا المقضي * واعلم أن من الأدب مع الله تعالى ان
لا يطلب العبد منه زيادة من المنح ولا نقصا من المحن لأن أهل القرب يعدون هذا سوء أدب لأنهم علموا أن
الحق أعلم بمصالحهم منهم ولهم هنا اسرار لا تفشى فافهم وقد طلب بعض العارفين ذلك فنودي ما اخترناه لك أولى
مما تختاره لنفسك فاصبر تحت جريان احكامنا وقال [illegible] ن أدهم رضي الله عنه سألت الله تعالى ان يرزقني
قيام الليل فعوقبت بحرمان الفرائض [illegible] ي عبد الناس ترح فان اعناك ثم وان أغناك ثم قال
فصرت عبدا فاسترحت وتساوى عنده [illegible] ي بان كل شيء هو السابق عنده لي والخيرة فيه وقد
سألت الله سبحانه وتعالى مرة ان لا يقدر على معصية فترادفت علي المعاصي حتى خشيت ان أموت على ذلك
فرجعت الى الله تعالى عن اختياري فكشف ذلك عني فلا [illegible] به بعد عن مقامهم غارقا في حظوظ نفسه
من علمه وعمله ومحبته دينار ودرهم أن ينكر عليهم فان هذا الا [illegible] ذوقا فمن ذاق فهم معنى قوله تعالى وقل رب
زدني علما وقوله سبحانه وتعالى واجعلنا للمتقين اماما وغيرهما من الآيات ولا يخفى أن طلب الزيادة من الخير
وغيره على سبيل اظهار الذل والعجز لا بأس به قال الله تعالى حاكيا عن موسى عليه السلام رب اني لما أنزلت الي
من خير فقير فعلم منه أنه لا ينبغي للعبد أن يكتفي بما عنده فيظهر الغناء فيخرج عن حده ولا يجد منه ما غير ربه
فهو محتاج اليه شاء أم أبى وان لم يسأل اختيارا سأل اضطرارا فالطلب لا ينافي العبودية وتقدم في مقام الصبر ما له
تعلق بهذا فراجعه واعلم أن الله تعالى لم يخلق الانسان عالما بكل شيء فهو في كل حال يستفيد من العلم ما به سعادته
وكماله أو شقاوته ونقصه ليتصف بالأولين ويجتنب الآخرين ولذلك قال الله تبارك وتعالى لنبيه وقل رب زدني
علما وأما العلم الذي فطر الله العالم والانسان عليه فهو العلم بوجود الله والعلم بفقر المحدث اليه فهو لا يقبل الزيادة
فافهم ذلك تعلم ان ما حكاه الله تعالى عن موسى عليه السلام لا ينافيه قول الخليل عليه الصلاة والسلام لجبريل لما
قال له وهو نازل في الهواء من المنجنيق ألك حاجة قال أما اليك فلا حسبي من سؤالي علمه بحالي لان الانبياء عليهم
الصلاة والسلام يعاملون كل موطن بما يفقهون عن الله تعالى من الأحوال اللائقة بهم فابراهيم عليه السلام
فهم ان المراد في ذلك الموطن عدم اظهار الطلب واكتفى بالعلم السابق فكان ما فهمه عن ربه وموسى عليه السلام
علم ان مراد الله تعالى منه في ذلك الوقت اظهار الفاقة فقام بما يقتضيه وقته ولكل وجهة هو موليها وكل على بينة
وهداية صلى الله عليهما وسلم ومن ذلك رؤيته كونه من أهل الشكر لله تعالى لان غير الكامل ربما شهد في ذلك
دعوى كونه صار شاكرا لله تعالى على انعامه مكافئا له عليها والعبد أصغر قدرا من أن يكافئ سيده بشيء لان

جميع ما يرى انه يكافئه به رزق من خزائن سيده لقوله تعالى وان من شئ الا عندنا خزائنه ولا يصح المكافأة الا بشئ
خارج عنها ولا خارج فليحذر العبد مما يختلج باطنه عند تجديد نعمة أو دفع نقمة عنه من طلب تحصيله
المكافآت وقوله لنفسه احي هذه الليلة لسيدك الذي غرقك في النعم وما جزاء السيد الا أن تعبده كما رزقك
وعافاك لان هذا ضعف ايمان وعقل فلهذا كان العبيد الخلص غائبين عن رؤية كونهم شاكرين لاحظتهم
للنعم فهم فارغون عن رؤية ما سواه فحيث ما أشار اليهم بفعل شئ أو تركه وجدهم فارغين غير غافلين ومن كانت
همته لا تتعدى يديه فلا واهب ولا موهوب فافهم ذلك * ومن ذلك رؤيته كونه صار صادقا في أعماله وأحواله لان
العبيد الخلص يرون نفس وجودهم ذنبا فأعمالهم وأحوالهم أولى فأحسن أعمال العبد الذي يشهد منه ذنبا
لانه يعتقد انه الفاعل لأعماله لشهوده العمل من نفسه عيانا ومن الله ايمانا والايمان لا يقوى العيان ولسنا
نقول انها ذنب في الشرع بل من باب حسنات الأبرار سيآت المقربين لأن المقربين يؤاخذون بنسبة الفعل
الى أنفسهم لان قسطهم من السنة المحمدية ما جاء به التعرف من جانب الحق وان نسبوا الفعل لانفسهم فهو
أدب منهم مع الله سبحانه وتعالى حيث نسبه اليهم فيقبلونه على علم منه انه ليس لهم لان من صفتهم عدم
الاعتراض فهم أهل التسليم الذاتي المحض ومن رد اليه تعالى فعله فقد أعطاه حقه فافهم وأما الابرار فانهم
لا يؤاخذون بذلك لان قسطهم من السنة ما جاء به العلم وهذا لا يدرك الا ذوقا * ومن ذلك رؤيته كونه من أهل
المعرفة بالله تعالى المعرفة الخاصة عند القوم والا فكل حادث يعلم أن له موجدا وان من شئ الا يسبح بحمده وتقع
هذه الدعوى كثيرا من الفقراء حتى سمعت منهم من يقول ان الذات المقدسة تعلم وهذا جهل ولذلك ورد
لا تتفكروا في ذات الله وقال الله تعالى ويحذركم الله نفسه يعني ان تتفكروا فيها فتحكموا عليها بأمر أنها كذا وكذا
واعلم ان ما بأيدينا من العلم به سبحانه وتعالى الا صفات تنزيه أو صفات أفعال ومن زعم ان عنده علما بصفة نفسية
ثبوتية فزعمه باطل لانها كانت تحده ولا حد لذاته فهذا باب [illegible] ن الخلق لا يصح ان يفتح لمعرفته الحق
سبحانه وتعالى وقد قال سيد العارفين والمرسلين اللهم اني أسألك ب[illegible] لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك
أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك فهذه [illegible] لا يعلمها الا هو سبحانه وتعالى فانظر
أدبه صلى الله عليه وسلم وادخل في سلك الموتى في عجزهم عن ادراك [illegible] نيا على ما هو عليه اذا علمت ذلك
فلا يصل الخلق في معرفتهم الا الى أفعال المقاربة وهي كاد وأخواتها ولذا زجر العارفون وردعوا من ادعى انه علم
ذات الحق تعالى لما فهم من قوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون فهي من أشد آية على العارفين
لان الأمر لا قرار له ولولا ما شرع الله تعالى للعقلاء بنصبه الأدلة ما ساغ التفكر لأحد ولولا ما طالب الحق بمعرفته
لعلمه ان الخلق عاجزون عن معرفته حق المعرفة سبحانك ما عرفناك حق معرفتك لا أحصي ثناء عليك أنت كما
أثنيت على نفسك فعلم صلى الله عليه وسلم ان ثم أمرا لا يحاط به ولهذا قال الصديق الأكبر رضي الله عنه العجز
عن درك الادراك ادراك وحجة الله سبحانه وتعالى قائمة على العبد في طلب معرفته بطرقها المأذون فيها ولا
يكشف العبد العجز الكلي عن الادراك الى يوم القيامة وقد سمعت شيخنا يقول هذا تقسيم حسن فأحببت أن
أذكره ويقدم في مقام التفكر ما له تعلق بهذا * ومن ذلك رؤيته كونه من أهل الايثار لان في ذلك دعوى الملك
والملك حقيقة لله تعالى لا للعبد فاحذر من نسبة الملك الى العبد حقيقة لان ذلك شرك وتقدم تقرير ذلك أول
الرسالة اذا علمت ذلك فلا يصح من جانب العبد ايثار حقيقة لان ما يؤثر به غيره ليس برزقه بل هو رزق من
أخذه لانه لو كان للمؤثر ما خرج عنه وقد مدح الله سبحانه وتعالى المؤثرين في قوله تعالى ويؤثرون على أنفسهم ولو
كان بهم خصاصة بمحض فضل بقية ما في أيديهم من النعم المتعدية الى غيرهم وذمه تعالى لغير المؤثرين محض
عدل فالكريم جعل رزق الخلق على يديه والبخيل لم يجعل لهم رزقا على يديه فلو جعل لهم رزقا على
يديه وصل اليهم ولو بالغصب والسرقة ومدح هذا وذم هذا فضلا وعدلا لا يسأل عما يفعل وهم يسألون فافهم
ذلك * ومن ذلك رؤيته كونه صار ذا خلق حسن لان شأن العبيد الغيبة عن الاخلاق وعن رؤية كونه
متخلقا بها شغلا به سبحانه وتعالى * ومن ذلك رؤيته كونه من أهل الأنس بالله تعالى لأن هذه الرؤية

تجريده عن حضرة ربه سبحانه وتعالى * واعلم ان أقل درجات الانس بالله تعالى ان يكون العبد مع
اعراض الخلق عنه أشد انسا من اقبالهم عليه فليحذر العبد من الاغترار بصفاء الاوقات فان في طيها آفات
لا يعرفها الا من أشهده الحق اياها على أني أقول ان اللذة بالانس من حظوظ النفس فالعبد الخالص من
تساوي عنده الانس وعدمه وكيف يأنس بالحق من لا يدركه ولم يجانسه ولم يألفه ولم يره والانس لا يكون
الا بالمألوف والالف لا يكون الا بالمجانس والمشاكل والمقارب واذا لم يره فليس يرى الا نفسه وكيف يأنس
العبد بنفسه وهذا لا يفهم الا ذوقا فافهم ذلك * ومن ذلك رؤية القاصر كونه صار من الذاكرين الله تعالى على
كل حالة تحجبه هذه الرؤية لأن من ذكر الله تعالى على الحقيقة نسي في جنبه كل شئ ولان جميع الكائنات
ذاكرة لا تفتر كما شاهد ذلك أرباب الكشف وقد ذقت هذا الحال من صلاة المغرب الى أن مضى ثلث
الليل الأول فكنت أسمع أصوات الكائنات بالتسبيح برفع الصوت حتى خشيت على عقلي ثم حجب عني رحمة
من الله لسبب أعلمه وسمعت السمك يقول سبحان الملك القدوس رب الأرزاق والأقوات والحيوانات
والنباتات ولم أسمع من تسبيح جميع ما سمعته سوى هذا واذا كان الحق سبحانه أقرب الى اللسان من نطقه
اذا نطق فكيف يصح من العبد ذكر خالص خال من العلل وكيف يصح دعوى كونه من الذاكرين وهم
لم يتخلق باخلاق الله تعالى لأنه قال أنا جليس من ذكرني فكل ذاكر لا يزيد علما في ذكره عند ذكوره
فليس بذاكر وان ذكر بلسانه لان الذاكر هو الذي يسمعه الذكر كله فلو صح الذكر صحت المجالسة ولو
صحت المجالسة صحت المسامرة ولو صحت المسامرة حصلت المواهب لان المانع لها عدم تهيؤ المحل لقبولها فلا
يجالس الا ذو محل قابل فذلك هو جليس الحق سبحانه وتعالى فاي خلق اكتسبه هذا المدعي من اخلاق
الحق تعالى فانه لو كان صادقا كانت ... أفعاله موافقة للكتاب والسنة باطنا وظاهرا فاذا علمت هذا
فاذكر الله سبحانه وتعالى امتثالا لا ... لأنس وتنزيه ونحوهما فانه تعالى له الكمال
المطلق فاي شئ تنزهه عنه تعالى ... واعلم ان الله تعالى قال اذكروا الله ذكرا كثيرا وما قيده
حالا من حال وقال صلى الله عليه ... على هذا الحال وقال تعالى ... كل حال وقال تعالى عهدت الى عبادي ان
يذكروني فأنفوا ان يذكروني ... بشارة * فاحذر ... لك الذكر بحضرة الغافلين خوفا أن
يذكروا الله تعالى مع الغفلة عن التعظيم لأن في هذا ترك ... عهد الله تعالى وهذا يقع فيه بعض
الفقراء الناقصين لانهم لم يعلموا انه لا يشترط في الذكر الحضور وأما الكاملون فهم يشهدون انه تعالى
ما ذكره أحد من غفلة قط فمن غار على الله ان يذكر الا بحضور فهو لم يعرف الله تعالى وغيرته له لا عليه
فالكاملون غيرتهم انما هي على الله ان يذكره غيره فيشهدون ان الله هو الذاكر نفسه بلسان عبده
فذكره وهم يعلمون انهم ما ذكروه ولذلك يقول من غار على لم يذكرني لأنه عرف من الذاكر ومن
المذكور فصار بمنزلة من الذكر في نفس الذكر وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فمن ذكره به لم
يذكره لأنه واسطة والأسماء تذكر بعضها بعضا فافهم ذلك * ومن ذلك رؤيته كونه من أهل الغنى بالله
تعالى تحجبه بها وغاية درجة الغني أن يستغني بالله تعالى عما سواه وليس ذلك عند العبد الخالص بمقام محمود
فان في ذلك قدرا لما سوى الحق سبحانه وتعالى ولان ذوقهم سرى في كل ما سوى الله تعالى انه عبد عاجز
كما هم عبيد ورأوا ان ما سوى الله تعالى محل لجريان تصريفات الحق لهم فالافتقار والالتجاء الى الله تعالى فلذلك
لم يروا شيأ يفتقرون اليه في نفسه فالغني وان كان بالله تعالى محل الفتنة العمياء لانه يعطي الزهو على عباد
الله تعالى ويورث الجهل بالعالم وبنفسه بل قال شيخنا رضي الله عنه لا يصح الغنى بالله تعالى أبدا لاحد
لانه لو استغنى أحد بالله تعالى لاستغنى عن الله تعالى والاستغناء عنه محال فالاستغناء بالله محال لكن الله
يعطيه أمرا ما من الامور الذي يجد الله فيه عند هذا الطلب نفسه ويرسل عنه ما يجده فالافتقار للعبد
ذاتي والغنى عرضي فالجاهل يغيب عن الأمر الذاتي له بالامر العارض والعبد الخالص لا يزال الامر الذاتي
من كل شئ ومن نفسه مشهودا له دنيا وعقبى فلا يزال العبد فقيرا لا يستغني في نفسه بربه عن ربه أبدا فافهم

ذلك

[illegible] ومن [illegible] رؤيته كونه صار من المستقر الذي لا يمكون [illegible] الأكوان [illegible] على [illegible]
[illegible] فيما يلاقيه من دعوى شيء من الأحوال والمقامات مما تعز [illegible] سواه وأما [illegible]
[illegible] من الأسباب فهو على سبيل العبودية [illegible] وبما [illegible] الأعلى [illegible] حكمه في [illegible]
الأسباب فكان [illegible] الأدب مع الله سبحانه وتعالى [illegible] الأمر [illegible]
في [illegible] الأكوان [illegible] الأسباب والاعتماد [illegible] كان [illegible] النظر [illegible]
[illegible] الأسباب لا [illegible] من [illegible] الأكوان [illegible]
[illegible] الله تعالى [illegible] عن أوليائه في بعض الأحيان [illegible]
[illegible] ومن ذلك رؤيته كونه من أهل التوحيد أعني توحيد الألوهية لا توحيد الذات [illegible]
لا [illegible] إنما [illegible] على طريق الشهود [illegible] والذوق وغاية [illegible] ليس [illegible] فكري وإن التوحيد [illegible]
مع ما [illegible] من الصفات [illegible] الناس [illegible] ذلك مما [illegible] في توحيد الذات أما توحيد الألوهية
[illegible] ذلك الأمور [illegible] العبارة وإذا علمت ذلك [illegible] رأيت أنك موحد للألوهية فاعلم أن هذا [illegible]
[illegible] التوحيد الذي [illegible] لا [illegible] ولا [illegible] التوحيد [illegible]
[illegible] الأكوان كلها [illegible] التوحيد [illegible] لا [illegible] من العلل [illegible] توحيد الله
إياه نفسه [illegible] من غير [illegible] سواه لأن حضرته أزلية لا تقبل السوى ولم يزل كان الله ولا شيء معه [illegible]
أمر [illegible] أهل الله تعالى لا [illegible] وقد [illegible] والله الحمد [illegible] الله تعالى من [illegible] وغير من
التكاليف إذ الغالب على أهل هذا الحال [illegible] وغير الأمور [illegible] أهل شيء من ذلك
[illegible] توحيد الأمر والمأمور [illegible] والعبودية لا [illegible] به والأمر لا يدرك [illegible]
الله تعالى [illegible] العبودية لامتثال الأوامر [illegible] في الأرض وله [illegible] في الأولى
والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون فلهذا [illegible] عن التعبير عنه وأما [illegible] فأعلى
ما [illegible] وأطبق [illegible] إسقاط [illegible] القدم ولا يخفى [illegible] فالخوض في هذا الباب
لا يدرك [illegible] العبارات والإشارة [illegible] لأن الموحد وجميع ما يعبر به عن توحيده مخلوق
حادث والله [illegible] علما أن الحق [illegible] التوحيد الذي هو [illegible] إياه لا [illegible]
من [illegible] من المخلوقين بالتوحيد وليس هذا [illegible] الذي أمر [illegible] بعلمه أو بقوله لأن توحيد الأمر [illegible]
والمأمور به مخلوق ولا يصدر من المخلوق إلا ما يناسبه فهو [illegible] عن مخلوق [illegible] ذلك [illegible]
العزيز وإن كان [illegible] في موضعه [illegible] القرب [illegible]
[illegible] الله [illegible] من المقامات [illegible] ومن
[illegible] جميع ما [illegible] السماوات والأرض مكون
مخلوق [illegible] الله تعالى [illegible] من كشف الله له عن جميع ذلك أنه
مخلوق رأى مخلوقا [illegible] غير ذلك [illegible] بالحق سبحانه وتعالى [illegible]
[illegible] على معرفة الحق سبحانه وتعالى [illegible]
السلطان مع [illegible] من الحاضر [illegible] لا [illegible]
[illegible] من [illegible]
[illegible] العامة [illegible]
[illegible] الله [illegible] أوقات مخصوصة [illegible] في نفس الأمر
[illegible]
[illegible]
[illegible]

...ظم لأنه ما شفع إلا في لقمة طين يعني خلق آدم من طين ونحن منه كما قال من نفس واحدة فعلم أن المقام المحمود
أعظم لمجرد الشفاعة وأنها أعظم لما فيه من عواقب الثناء الإلهي الذي يثني به رسول الله صلى الله عليه وسلم
على ربه فيا حبيب الله إلا من أجل الله لا من أجل الشفاعة ثم جاءت الشفاعة تبعا في هذا المقام وقد أحببت أن
أختم هذه الرسالة بكلام جامع لأحوال الخلائق وخلاصة جميع الكتب المنزلة وخلاصة ما يسلك به المسلكون إلى
يوم القيامة لأن خلاصة جميع ما أمر الأنبياء وورثتهم أن يقولوا لأممهم بعد أن يبينوا لهم الحرام والحلال افعلوا
ما علمتم أنكم مأمورون به واجتنبوا ما علمتم أنكم نهيتم عنه هذا ما عليهم وأما الامتثال فراجع إلى الله تعالى
واعلم أن كل العوام الخالطين للعلماء إلا قليلا لا يعرفون الحرام والحلال لا يجهلون منهما إلا بعض مسائل دقيقة
لا تقع إلا نادرا فإذا تقرر ذلك فأقول وبالله التوفيق جاءني هاتف في المنام وقال لي اسمع هذا الكلام الجامع لكل
كل شيء قلت له نعم فقال عليك ببيان [illegible] العبد أن يشغل قلبه في كل نفس بالاختيار لفعل شيء أو ترك
[illegible] فإن كان طاعة حمدنا عليها واستغفرنا من تقصيرنا فيها أو
[illegible] واستغفرنا من [illegible] كان غفلة وسهوا أو نحوها فعل
[illegible] في كل ما يجري به [illegible]
[illegible] العبودية له أنه على كل شيء قدير وعفوه واسع والحمد لله وحده كما أثنى هو على نفسه فإن الله
الصادر من [illegible] * فحمده امتثالا لأمره فنقول الحمد لله رب العالمين

الحمد لله الذي خلع على أوليائه خلع إنعامه فهم له بذلك خاضعون واصطفاهم لمحبته وأقامهم في خدمته
[illegible] ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا
هم يحزنون والصلاة والسلام [illegible] وأصحابه والتابعين (وبعد)
فقد تم طبع هذا [illegible] في بيان آداب العبودية
للعارف الرباني [illegible] عبد الوهاب
الشعراني [illegible] وكان طبعه
[illegible] وتمام [illegible] الشريفة
الكائنة [illegible]
[illegible] ولاح [illegible]
ختامه في أوائل [illegible] من
عام سنة ١٣١٧ هجريه على
صاحبها أفضل الصلاة
وأشرف التحية
آمين

Ah

۳۷ | ۵۳

ش ٣٣ م

١٨١٦٥ ع

٣٦٥٣

الانوار القدسية في بيان آداب العبودية

Date	No.	Date	No.